المابيات

من المعروف أن موقع الخريبة المجاور لمدينة العلا هو موضع مدينة دادان التي أخذت الحِجْر مكانها بوصفها مركزاً سياسياً وتجارياً في عهد الأنباط. ثم أفل نجم الحجر وحلت قرح محلها عاصمة للمنطقة التي عرفت بوادي القرى بمنطقة المدينة المنورة، شمال غرب المملكة. وقد طغى اسم وادي القرى على اسم قرح حتى أصبحت مدينة تعرفُ غالباً بوادي القرى، وذلك مثلما يطلق حالياً اسم مصر على القاهرة، والشام على دمشق.

وقد ازدهرت مدينة قرح بعدئذ وأصبحت إحدى أسواق العرب المعروفة قبل الإسلام. يقول ابن الكلبي صاحب كتاب الأصنام إن وادي القرى (قرح) هي إحدى العواصم الست في الجزيرة العربية التي نشأ فيها أصل الغناء ومعدنه، وهذه المدن هي مجامع أسواق العرب.

وكانت قبيلة عذرة، ومنها بنو حن بن ربيعة، تسكن في وادي القرى، وقد عاش بينهم قصي بن كلاب الجدّ الخامس للرسول ﷺ. وهو الذي انتزع السيادة من خزاعة في مكة المكرمة، ونظّم أمورها الإدارية والسياسية. ولأن وادي القرى منطقة زراعية بسبب توافر المياه الجارية من القنوات الباطنية التي تسمى بالكظائم أو العيون، طمع فيها الطامعون، ومنهم الغساسنة في بلاد الشام. فقد روي أن النعمان بن الحارث الغساني أراد غزو وادي القرى، فحذره النابغة الذبياني من غزوها بأبيات شعرية.

وقد دخلت ناحية وادي القرى الإسلام في السنة السابعة من الهجرة بعد أن فتحها رسول الله ﷺ عقب انتهائه من فتح خيبر. وشهدت ناحية

وادي القرى خلال تلك الفترة ازدهاراً كبيراً بلغ قمته في العصر العباسي حتى أصبحت المدينة الثانية في الحجاز، حسبما يروي المقدسي في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي حين يقول:

> وناحية قرح تسمى وادي القرى، وليس بالحجاز اليوم بلد أجل وأعمر وآهل وأكثر تجاراً وأموالاً وخيرات بعد مكة من هذا، عليها حصن منيع على قرنته قلعة قد أحدث به القرى وأكنف النخيل، ذو تمور رخيصة وأخبار حسنة ومياه غزيرة ومنازل أنيقة وأسواق حارة، عليه خندق وثلاثة أبواب محددة، والجامع في الأزقة، في محرابه عَظْم، قالوا هو الذي قال للنبي ﷺ، لا تأكلني فأنا مسموم. وهو بلد شامي مصري عراقي حجازي، غير أن ماءهم ثقيل وتمرهم وسط وحَمَّامهم خارج البلد (١٩٨٧: ٨٣-٨٤).

وقد ورد ذكر وادي القرى كثيراً في كتب الأدب والتاريخ، وينسب إليها عمر بن داود بن زاذان مولى عثمان بن عفان المعروف بعمر الواديّ المغني، وذكر ياقوت أنه كان مهندساً في أيام الوليد بن يزيد بن عبدالملك، ولما قتل عثمان هرب، وهو في الغناء أستاذ حَكَم الوادي. وتردد ذكر وادي القرى في شعر جميل بن معمر العذري، صاحب بثينة، ومن ذلك قوله:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة
بوادي القرى إني إذاً لسعيد

ومع نهاية القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) أو قبله، وبسبب تدهور الأوضاع الأمنية والاقتصادية في شمال الحجاز، نتيجة لضعف الخلافتين العباسية والفاطمية، بادت قرح، مدينة وادي القرى وقصبته، وهجرها سكانها، مما أدَّى إلى اختفاء اسمها واسم وادي القرى في تلك الناحية، حتى من ذاكرة سكان المنطقة، ولم يبق ما يدلنا على موقعها سوى الوصف الذي تركه الجغرافيون وغيرهم

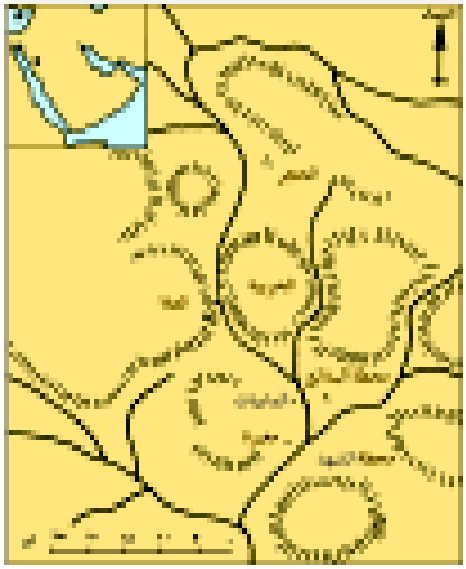

خريطة توضح موقع المابيات

من الكتاب الذين أدركوها، وتأكد في ضوئه أنها المكان المعروف حالياً باسم المابيات على خط الطول ٣٨ْ ٠٦َ شرقاً ودائرة العرض ٢٦َ ٣٠ْ شمالاً بمنطقة المدينة المنورة.

وظل هذا الموقع بعيداً عن الدراسات الآثارية حتى سنة ١٩٦٨م/ ١٣٨٨هـ، عندما قامت بعثة من معهد الآثار بجامعة لندن بزيارة للموقع أجرت خلالها مسحاً أثرياً ودراسة أولية للبقايا الأثرية به. وقد أظهرت هذه الدراسة التي ارتكزت على الكسر الفخارية المنتشرة على السطح، أن المابيات موقع جاهلي وأموي وعباسي. ولم تعثر البعثة على ما يدل على أنه استمر إلى ما بعد القرن الثاني عشر الميلادي، وهو ما يتفق تماماً مع وصف الجغرافيين والكتاب المتقدمين والمتأخرين للموقع.

تبلغ مساحة موقع المابيات نحواً من ٦٤٠,٠٠٠ م٢، يحيط بها سور متعرج له ثلاث بوابات، ويتصل بتل مرتفع فوق قمته بقايا قلعة. وكانت الإدارة العامة للآثار والمتاحف بوزارة المعارف قد عثرت على شاهد قبر في المابيات (مسجل برقم ٥-٣-٨٥) قام بدراسته عبدالله نصيف من جامعة الملك سعود، فوجد أن الشاهد يحمل اسم «أبي حازم عبدالله بن إبراهيم بن الفضل بن أبي حازم» صاحب حصن

موقع المابيات

بقايا قلعة فوق جبل صغير من موقع المابيات

وادي القرى. وهو، فيما يظن، الذي قاد ثورة ضد الفاطميين وكاد أن يخلص الحجاز من حكمهم، لولا هزيمته أمام القوات الفاطمية التي أرسلت للقضاء عليه. وقد أجرت الإدارة العامة للآثار والمتاحف حفريات محدودة في الموقع، فوجدت أنه يشتمل على أزقة ومنازل ذات أرضيات مبلطة بقطع رقيقة من الطوب المحروق، ظهرت بألوان مختلفة حمراء وبيضاء أو تميل إلى اللون الأخضر. وكان من ضمن المنازل القليلة التي اكتشفت منزل كتب عليه اسم صاحبه «سليمان بن محمد بن سليمان بن محمد».

أما المواد الأثرية التي عثر عليها في هذه الوحدات المعمارية، فتتمثل في عدد كبير من الأواني الفخارية والخزفية والزجاجية، وبعض الأدوات النحاسية كالملاقط والموازين، إلى جانب عدد من الصنج الزجاجية والبرونزية. كما عثر على مجامر برونزية، وأخرى من الحجر الصابوني والمرمر وزهر طاولة (نرد). وقد لوحظ أن عدداً من هذه المواد الأثرية زين بزخارف نباتية وهندسية إلى جانب بعض الكتابات العربية.

ويمثل الفخار المزجج ذو البريق المعدني الذي وجد في المابيات، نسبة كبيرة من جملة المواد الفخارية الأخرى التي عثر عليها. والمعروف أن هذا النوع من الفخار يعد من أرقى أنواع الخزف في العالم الإسلامي. أما القطع الزجاجية

جزء من إناء من الخزف ذي البريق المعدني – موقع المابيات

التي عثر عليها، فأكثرها أجزاء من آنية صغيرة وصحون ملونة باللون الأخضر والأزرق والبني، ويحمل بعضها زخارف غائرة.

وأما المسكوكات التي وجدت بموقع المابيات فهي من البرونز والقصدير والذهب. وعثر على دينار ذهب كتب على وجهه اسم الإمام الآمر بالله وعبارة «صنع في مصر سنة ٤٠٦هـ» وعلى الوجه الآخر آية قرآنية. كما عثر على وزن نصف دينار كتب عليه «العزيز بالله الفاطمي».

وخلاصة القول، كما جاء في التقرير الأولي لنتائج الحفريات الآثارية المحدودة في المابيات، أن الوحدات المعمارية التي كشف عنها خلال موسم سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤ تدل على أن المكان كان مركزاً حضارياً بلغ أوج ازدهاره خلال القرون الثالث والرابع والخامس من الهجرة. والمشاهد للموقع يدرك أنه يقف أمام مدينة إسلامية غنية بمكوناتها الأثرية ومخلفاتها الحضارية، من أزقة ودكاكين ومنازل، تتقدمها أعمدة مستديرة تحمل واجهاتها زخارف جصية تماثل أرقى الطرز الزخرفية المعمارية في العراق.

مَاوَان

ماوان اسم يطلق على عدد من الأماكن في المملكة. ويروى أن الاسم يطلق على الأماكن التي تكثر فيها المياه،

منها ماء يقع في عالية نجد، وجبل وماء يقعان غرب العارض، وواد يقع في العارض. ولكن أشهر الأماكن التي عرفت باسم ماوان وادٍ من أودية العلاة في منطقة اليمامة، يقع على خط الطول ٥١َ ٤٦ْ شرقاً ودائرة العرض ٥٢َ ٢٣ْ شمالاً بمنطقة الرياض، وتصب فيه روافد كثيرة، وبه عين جارية وعدد من القِلاَت والغدران. وتقع في هذا الوادي قرية بالقرب من قرية ذي المجازة.

وذكر الجغرافي عبدالله بن خميس أن هناك طلولاً وآثاراً وأسواراً تقع بأسفل وادي ماوان، تدل على قوة أهلها ومنعتهم، وما تزال بعض أسوارها وقصورها محتفظة بهياكلها وجدرها العريضة. ويذكر أن القرية الجديدة لا تبعد عن القرية القديمة إلا بضعة كيلومترات.

ويبدو أن الاستيطان في الوادي بدأ من عصور ما قبل الإسلام واستمر حتى العصر الحاضر. فقد وجدت مواقع قديمة بالوادي سابقة لظهور الإسلام وأخرى إسلامية منتشرة في أنحائه.

المدينة المنورة

تقع المدينة المنورة على خط الطول ٣٦َ ٣٩ْ شرقاً ودائرة العرض ٢٨َ ٢٤ْ شمالاً، بينها وبين مكة المكرمة جنوباً نحو ٤٢٠كم، وتبعد عن ساحل البحر الأحمر بحوالي ١٦٠كم. وتبعد عن ينبع البحر ميناء المدينة المنورة على البحر الأحمر بحوالي ٢٧٥كم.

كانت المدينة المنورة قبل الإسلام تسمى يثرب، وهي ذات شهرة منذ القدم، شأنها شأن مكة المكرمة. وتميزت بأرضها الخصبة وتنوع الزراعة فيها، وبموقعها على طريق الحج والتجارة الذي يربط جنوب الجزيرة العربية بمنطقة الشام. وتذكر المصادر أن للمدينة خمسة وتسعين اسماً، منها: منزل الوحي، عش الفقهاء، طابة، وقد سمّاها الرسول ﷺ طيبة والمدينة. ومن المعالم الجغرافية المباركة جبل أحد، ويبعد عن المسجد النبوي الشريف بحوالي ٦كم، وجبل سلع داخل المدينة شمال غرب المسجد النبوي بحوالي نصف كيلومتر، وجبل ثور شمال أُحد، وجبل عَيْر جنوب المدينة وهو قبلتها، ويبعد عن المسجد النبوي بحوالي ٨كم.

وهناك عدد من المرتفعات الجبلية تحد المدينة من الجهة الغربية وهي سلاسل جبلية تمتد من الشمال إلى الجنوب، غرب وادي العقيق تُعرف بالجماوات الثلاث: جماء تضارع، جماء أم خالد، جماء العاقر أو العاقل.

وأصبحت هذه المرتفعات تتداخل في الوقت الحاضر مع المنطقة السكنية، وكانت من قبل تُمثل خطوطاً دفاعية للمدينة على مر العصور. ويحف بالمدينة من الشرق حرة واقم أو الحرة الشرقية، ومن الناحية الغربية، شرق وادي العقيق، حرة الوبرة أو الحرة الغربية والحرة الجنوبية أو حرة شورال.

كما اشتهرت المدينة بعدد من الأودية، من أهمها: وادي العقيق، وادي بطحان، وادي رانوناء، وادي مهزور، وادي قناة، ووادي الفرع. وقد أدت هذه الأودية إلى تنشيط الحركة الزراعية بالمدينة منذ القدم، وساعدت على إقامة المنشآت المائية لتوفير المياه للشرب والزراعة.

ويبدو أن الاستيطان بدأ في المدينة منذ فترة بعيدة قبل الإسلام، فقد ورد أول ذكر ليثرب في النصوص المعينية، كما ورد ذكر يثرب في غزوة الملك البابلي نبونيد الذي سكن تيماء فترة من الزمن. كذلك ذكر الكتاب القدماء مثل بطليموس اسم يثرب مما يدل على قدمها. ويؤيد قدم المدينة وجود كتابات ومخربشات عربية قبل الإسلام في المناطق الجبلية القريبة منها، مثل كتابات الصويدرة والحناكية وغيرها.

ومن أقدم من سكن المدينة قبل الإسلام قبيلتا الأوس والخزرج وهم الذين عمروها، وكانت صلاتهم قوية بالغساسنة.

وتركزت مناطق السكن في المدينة قبيل الهجرة في أربعة مواقع رئيسية، هي: العوالي، قباء، العُصبة، ويثرب القديمة. وبلغت خطط المدينة المنورة عند هجرة الرسول ﷺ إليها تسع خطط، كل خطة دار مستقلة بمساكنها ونخيلها وزروعها وسكانها. وكان بالمدينة عدد كبير من الآطام المتخذة للحماية والدفاع.

ونتيجة للهجرة النبوية الشريفة وتزايد عدد المهاجرين اكتسبت المدينة المنورة أهمية سياسية واقتصادية، وزادت سعتها أضعاف ما كانت عليه قبل الهجرة. وتركز الاستقرار في الأراضي البور أو في المزارع التي تحولت بالتدريج إلى مناطق سكنية. وكانت كل خطة تسمى باسم القبيلة التي سكنتها. كما اختط الرسول ﷺ سوق المدينة الجديدة، إضافة إلى الأسواق التي كانت قائمة فيها، وكان لكل سلعة أو صنعة أو حرفة مكان مخصص في تلك السوق.

وتعددت المرافق الرئيسية والخدمات في مختلف أرجاء المدينة بعد أن أصبحت عاصمة للإسلام. ومن أهم تلك المرافق:

المساجد، والدور، والآبار والعيون، والحصون. ونشطت حركة البناء واستصلاح الأراضي الزراعية منذ عصر صدر الإسلام، وبلغت ذروتها خلال العصر الأموي وبداية العصر العباسي. فظهرت القصور بمرافقها المختلفة، من آبار وعيون وسدود وبساتين، وتحدثت عنها المصادر التاريخية والأدبية.

لم تستمر المدينة المنورة حاضرة للدولة الإسلامية بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان #، فقد اختار الخليفة علي بن أبي طالب # الكوفة عاصمة للخلافة الإسلامية. ومن بعد الكوفة أصبحت دمشق عاصمة للدولة الإسلامية من قبل الأمويين. وعند ظهور الدولة العباسية نشأت بغداد عاصمة للدولة الإسلامية. وقد تأثرت المدينة بالحوادث السياسية التي نزلت بالدولة الإسلامية، مثل: مقتل الخليفة عثمان بن عفان وما تلى ذلك من أحداث مؤلمة، مثل ثورة عبدالله بن الزبير، واجتياح المدينة في عهد يزيد بن معاوية، وتعديات القبائل على حرمتها غير مرة، وما تبع ذلك من الفتن المتواترة.

وعلى الرغم من هذه الحوادث ظلت المدينة مركزاً دينياً وثقافياً وعلمياً على مرّ العصور. فارتبطت بطرق المواصلات التي تصل إليها من العراق والشام ومصر واليمن ونجد والحجاز، كما استقر بها عدد من العلماء والأدباء والرحالة. وحفظت لنا المصادر التاريخية والجغرافية وكتب الرحلات معلومات وافرة عن تاريخ المدينة المنورة عبر العصور الإسلامية المختلفة. وقد ركزت تلك المصادر، في المقام الأول، على وصف المسجد النبوي الشريف والمعالم التاريخية والمواقع الحربية وحدود المدينة والمناطق التابعة لها. ومن خلال تلك المصادر نقف على جهود الخلفاء والسلاطين في عمارة مسجد الرسول ﷺ، والمساجد المشهورة والمرافق المتعددة الأخرى بالمدينة.

وحتى منتصف القرن العشرين الميلادي كان بالمدينة عدد من المدارس والأربطة والمكتبات والتكايا والسبل والمستشفيات والأسواق التجارية ومرافق أخرى كثيرة، فعلى سبيل المثال كان بها: ثماني عشرة مكتبة، وسبع عشرة مدرسة، وثماني تكايا، واحد وعشرون سبيلاً (مشربة)، ومائة وثمانية أربطة للفقراء. وكانت هذه المرافق ملائمة وكافية لحاجة السكان والزوار في ذلك الوقت.

ونظراً للمخاطر التي كانت المدينة تتعرض لها أُحيطت بسور لحمايتها ابتداءً من سنة ٢٦٣هـ/ ٨٧٦م، ثم أعيد بناء

السور وجدد في قرون لاحقة: (سنة ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م، وسنة ٥٥٨هـ/ ١١٦٢م، وسنة ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م، وسنة ٩٤٦هـ/ ١٥٣٩م وقد زود السور بعدد من البوابات، منها:

باب الشامي، وباب بصرى، وباب المجيدي، وباب الجمعة، وباب الحمام، وباب القاسمية، وباب العنبرية، وباب الصغير، وباب المصري، وباب الكومة (الحكومة).

وورد أن السور بعد العمارة التركية كان به أربعون برجاً تشرف على ضواحي المدينة، للدفاع عنها. وقد تطورت المدينة داخل هذا السور واندمجت أحياؤها. وكانت منازلها تتكون من طابقين أو أكثر، مبنية من الصخور المحلية ومسقوفة بجذوع النخل. وتتخلل الحارات والمنازل شوارع وأزقة ضيقة، بعضها مسدود وبعضها يلتقي بطرقات أخرى.

وتعددت أسواق المدينة، وكان من أهمها: سوق الحبابة والتمارة والسمانة والفحامة والصباغة والبرسيم والرواسة والفلتية والخضرية والحراج والجزارة والعطارة والقماشة والخردية والتفاحة والغنم والعياشة والحطابة.

وفي سنة ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م هُدم سور المدينة التاريخي لفك الاختناق وتسهيل الحركة داخل المدينة، وربط الحارات داخلها بالأحياء الجديدة التي نشأت خارج السور. ونتيجة للتوسعات المستمرة للمسجد النبوي الشريف وإدخال المرافق والوسائل الحديثة الضرورية للمدينة، دخلت أجزاء كثيرة من المدينة القديمة في توسعة المسجد وغيره من المرافق. وتُعَدّ توسعة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز للمسجد النبوي أكبر توسعة يشهدها المسجد منذ تأسيسه، إذ بلغت المساحة الإجمالية التي شملتها التوسعة السعودية ٨٢,٠٠٠م٢. وتتيح هذه التوسعة مع المساحات الأخرى لسطح المسجد والدور السفلي والساحات المحيطة بالمسجد الصلاة لأكثر من نصف مليون مُصَلٍّ في وقت واحد في الأيام العادية، وأكثر من مليون مُصَلٍّ أيام الحج وشهر رمضان. وقد أصبحت المدينة المنورة، مدينة عصرية كثيرة السكان تستوعب آلاف الزوار على مدار السنة وفي موسم الحج.

وعلى الرغم من الامتداد العمراني للمدينة ودخول وسائل الحياة العصرية والتقنيات الحديثة، إلا أن المدينة ما تزال تحتفظ بكثير من ملامحها التراثية القديمة. ويتضح ذلك فيما بقي من المنازل القديمة

ذات الواجهات المغطاة بالرواشين (المشربيات الخشبية) تحليها زخارف نباتية وهندسية جميلة.

أما المعالم التاريخية والمواقع الأثرية المهمة فلا يزال كثير منها باقياً. وهي تشتمل على المساجد، وبقايا الحصون والقصور والقلاع والآطام، والسدود القديمة والآبار والعيون، والكتابات الصخرية. وهذه الآثار تقع ضمن النطاق العمراني للمدينة. أما الآثار الأخرى الباقية حول المدينة المنورة فهي كثيرة ومتنوعة وتمثل تاريخ المدينة في عصورها المختلفة.

المساجد: تعددت المساجد في المدينة المنورة وما حولها، منذ هجرة الرسول ﷺ. وتذكر المصادر التاريخية أن الرسول اختط بنفسه مسجد قباء أول وصوله إليها. ثم بعد دخوله إلى المدينة واستقراره بها اختار أرضاً مناسبة تتوسط المدينة، وبنى فيها مسجده. وقد لقي مسجد الرسول ومسجد قباء عبر التاريخ الإسلامي عناية الخلفاء والسلاطين بالإصلاح والترميم والتوسعات وإعادة البناء وتعهد مرافقهما. كذلك انتشرت مساجد كثيرة بلغ عددها في عهد الرسول ﷺ أربعين مسجداً. وتذكر المصادر التاريخية أن عمر بن عبدالعزيز والي المدينة في عهد الوليد بن عبدالملك (٨٦-٩٦هـ/ ٧٠٥-٧١٥م) حدد المواضع التي صلى فيها النبي، ثم بناها بالحجارة المطابقة، وما تزال المساجد

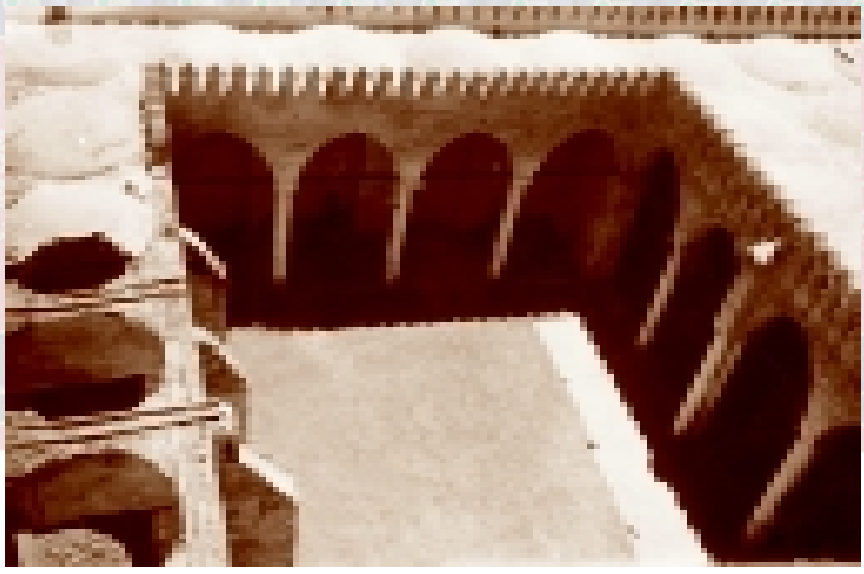

مسجد قباء قبل إعادة عمارته – المدينة المنورة

مسجد قباء – المدينة المنورة

المشهورة منها باقية ومعروفة في مواقعها حتى الآن.

كذلك أُنشئت مساجد أخرى في عصور إسلامية لاحقة، من أشهرها: مسجد القبلتين، ومسجد الغمامة، ومسجد الفتح، ومسجد أبي بكر الصديق #، ومسجد عمر بن الخطاب #، ومسجد علي بن أبي طالب #، ومسجد العنبرية.

وعلى الرغم من التوسعات والتجديدات المتكررة لمسجد الرسول ﷺ ومسجد قباء والمساجد الأخرى المشهورة على مرّ العصور، إلا أنها ما تزال تحتفظ بخاصية من العمارة والفنون الزخرفية الإسلامية. فالتوسعة العثمانية وتجديدات المسجد النبوي الشريف باقية على حالها إلى اليوم. ويعد المحراب السليماني الذي أقيم سنة ٩٤٨هـ/ ١٥٤١م، من أبرز العناصر المعمارية الباقية. كذلك تشاهد التكسيات الجدارية المكونة من البورسلين العثماني (القيشاني) ذي الزخارف النباتية المعمولة باللون الأزرق أو الأخضر. كما

مسجد الغمامة بالمدينة المنورة

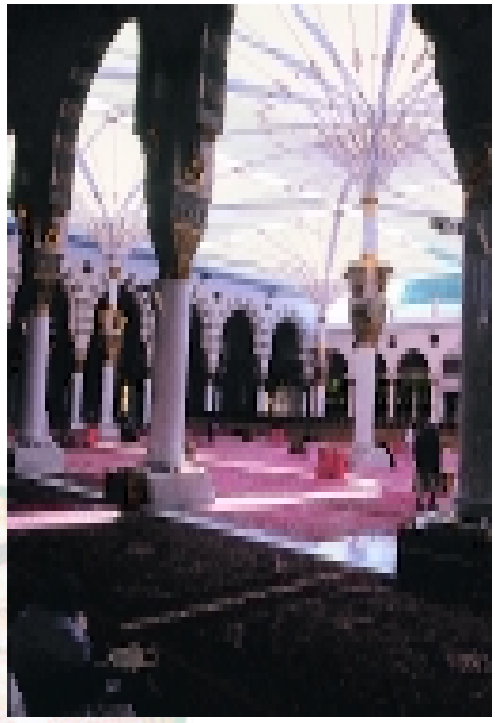

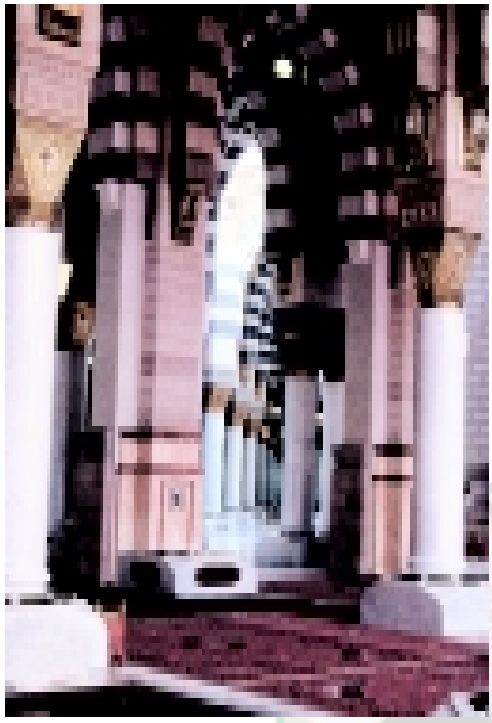

المسجد النبوي بعد توسعة خادم الحرمين الشريفين

تنتشر في أرجاء المسجد عشرات النصوص الكتابية، وهي إما نصوص تذكارية أو آيات قرآنية أو أشعار أو أسماء الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين.

ومن أقدم النصوص التذكارية الباقية نقش مؤرخ من عصر السلطان قايتباي المملوكي سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م على حائط المحراب الخلفي للروضة الشريفة، ويتكون من خمسة أسطر كتبت بخط ثلث مملوكي.

وهناك عدد من النصوص التذكارية التي تحمل إصلاحات السلاطين العثمانيين في المسجد النبوي الشريف في عصور مختلفة، بالإضافة إلى طغرائيات بأسماء بعض السلاطين العثمانيين.

الحصون: اشتهرت المدينة بالمباني الدفاعية، مثل الحصون والآطام. وقد بلغ عدد الآطام بالمدينة في عهد الرسول ﷺ ٢٩٩ أطماً، نسب منها المؤرخون ١٢٧ أطماً للأنصار، و١١ أطماً للعرب الذين نزلوا المدينة، و١٥٩ أطماً لليهود الذين لجأوا إليها. وقد خدمت هذه الآطام المسلمين في أوقات الحروب، خاصة في عهد الرسول ﷺ، إذ كانت

تـؤوي النـسـاء والأطفـال والشـيـوخ والعجزة، كما حدث في معركة الخندق في شوال سنة ٥هـ/ ٦٢٦م.

ومن آثار الحـصون والآطام الباقـية بالمدينة الآن حصن كعب بن الأشرف، إلى الجنوب الـشرقي من المدينة. وهـو مربـع البناء طـول ضلعه ٣٣م ومـبني بحجارة جرانيتية مهذبة، وتصل سماكة جدرانه إلى حوالي مـتر، وله بوابة في الجهة الغربية، وفيه ثـمانية أبراج دائرية ونصف دائريـة. ويصل ارتفاع جدرانه الآن حوالي أربعة أمتار مما يدل على أن هذا الحصـن كان من طابقين، ويـوجد في سـاحته الـداخلية سـلم حجـري. ويلاصق الحصن من الجهة الجـنوبية بئر للسقي. ومن الآطام الباقية آثارها أيضاً: أطـم الضـحيـان، وأطم أبـي دجـانة الأنصاري، وأطم صرار، شمـال شرق المدينة المنورة.

القصور: اشتهرت المدينة المنورة بعدد من القصور الفخمة التي أنشأها عدد من الأمراء والأعيان في بداية العصر الأموي. وتركزت هذه القصور على ضفاف وادي العقيـق المشهور بوفرة ميـاهه وخصوبة أرضه. ويفـهم من المصـادر التاريخـية الأدبية أن تلـك القصور كانت كثـيرة،

آثار قصر هشام – المدينة المنورة

ويعتقد أنها ربما تزيد على سبعين قصراً. وتؤكد المصادر على متانة قصور وادي العقيق وأنها بنيت بالحجارة والآجر. ويبدو أن قصور وادي العقيق كانت كبيرة وواسعة إذ تصل مساحة القصر الواحد إلى ما يقرب من ٩٠٠م٢ وربما زاد بعضها عن هذه المساحة. كما كانت القصور مزودة بملاحق أخرى، مثل الدور والآبار والبرك والسدود والبساتين الواسعة التي يزرع فيها النخيل والفواكه والأعناب وغيرها، ولا شك أنها ساعدت في إثراء المدينة اقتصادياً منذ القرن الأول الهجري وحتى مطلع القرن الحالي. وما تزال آثار بعض قصور وادي العقيق باقية ومشاهدة، ويبلغ عدد القصور التي يُعرف أصحابها ١١ قصراً.

ومن أشهر القصور التي تم حصرها: قصر هشام بن عبدالملك، وقصر عروة بن الزبير، وقصر عاصم بن عمرو، وقصر سعيد بن العاص، وقصر المراجل.

ولا تزال بعض أجزاء تلك القصور باقية، مثل قصر سعيد بن العاص، وبعضها دخل في ملكيات خاصة، أو ضمن التوسع المعماري الحديث للمدينة المنورة. كما يمكن مشاهدة بعض الأساسات القديمة لقصر هشام.

ومن الآثار الباقية لتلك القصور بقايا قصر سعيد بن العاص الآنف الذكر، وابن العاص هو أحد أمراء المدينة في عهد معاوية بن أبي سفيان، وقد مات سعيد في قصره سنة ٥٧هـ أو ٥٨هـ/ ٦٧٦-٦٧٧م، ويقع القصر في ضاحية المدينة الشمالية الغربية، في الموضع المعروف بسلطانة. وسلطانة هي إحدى الآبار الثلاث التي كانت في الماضي تابعة للقصر ومرافقه، أو ربما كانت التسمية بسلطانة نسبة للطريق السلطاني الذي ينتهي في هذه المنطقة.

ووصف المؤرخ عبد القدوس الأنصاري ما بقي من آثار هذا القصر بأن طوله يصل إلى ٣٦م وعرضه ٢٧م وارتفاع أطلاله الباقية حوالي ٩م. ويصل سمك الجدران فيه حوالي ٧٦سم، وقد بني بحجارة جرانيتية غير منحوتة متوسطة الحجم ومثبتة بالجص. ويبدو من ارتفاع الجدران الباقية، ومن أسلوب عمارته، أن القصر كان من طابقين، وقد بني على نمط العمارة الإسلامية المبكرة، على غرار ما نشاهد في القصور الأموية المبكرة في بلاد الشام. ونلاحظ بقايا عقود نصف دائرية وطاقات ركنية وآثار الزخارف الجصية، وزخارف معمولة من الطوب صنعت على شكل

قصر سعيد بن العاص – المدينة المنورة

أفاريز. وكانت جدرانه مغطاة بطبقة جصية من الداخل والخارج. وقد اكتسب هذا القصر شهرة واسعة بسبب فخامته ومتانة بنائه، حتى إن أحد الشعراء، وهو أبو قطيفة عمرو بن الوليد بن عقبة، فضله على أبواب جيرون، وهي دمشق حين قال:

القصر فالنخل فالجماء بينهما
أشهى إلى القلب من أبواب جيرون

وعندما توفي سعيد بن العاص اشترى معاوية بن أبي سفيان القصر والنخيل والمزارع التابعة له بمبلغ ٣٠٠ ألف درهم.

ومن القصور المشهورة أيضاً قصر عاصم بن عمرو بن عمر بن عثمان بن عفان، شرق جماء تضارع، في الجهة الغربية من وادي العقيق. وقد شاهد هذا القصر عدد ممن كتبوا عن المدينة، منهم السمهودي (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م). كذلك شاهده إبراهيم بن علي العياشي، ووصفه عبدالقدوس الأنصاري وصفاً مختصراً ذكر فيه أن مساحته أبعادها حوالي ٣٠م × ٣٠م، وأنه بني من الحجارة المغطاة بطبقة من الجص. أما غرف القصر فيصل عددها إلى ثماني غرف مع مرافقها داخل فناء القصر.

وشاهد الأنصاري أيضاً إلى الشرق من سور القصر مرافق أخرى وصفها بأنها تشكل اصطبلات ومخزنين ودكة للسمر، كما شاهد غرفة ملاصقة لسور القصر من الناحية الجنوبية.

ولإمداد القصر بالمياه أقيم سد على فوهة مسيل المياه من جماء تضارع إلى الشرق من القصر بحوالي ٨٠م، ويصل طول السد إلى حوالي ٣٦م، وسمكه متران ونصف. ولا تزال آثار السد باقية حتى اليوم. وقد بني بحجارة نارية داكنة غير منحوتة ومثبتة بالمونة. وتدل آثار السد الباقية، الذي اعتراه بعض التآكل، على أنه كان مغطى على الجانبين بطبقة من الجص.

أما القصر فقد اندثرت معالمه في الوقت الحاضر، ولم يبق منه سوى بعض الأساسات. وتدل الكسر الفخارية والخزفية على أن فترة الاستيطان للقصر تقع ما بين القرن الأول والثالث للهجرة.

اشتهرت المدينة المنورة بالمنشآت المائية كالآبار والعيون والسدود، التي ورد ذكرها في المصادر التاريخية. فمنها ما كان قائماً عند الهجرة النبوية، ومنها ما أنشئ في العصر الإسلامي.

الآبار: بلغ عدد الآبار المشهورة تاريخياً ثلاثاً وعشرين بئراً كانت تستخدم للشرب والغسيل، كما تستخدم أيضاً لري المزارع. ومن أشهر تلك الآبار: بئر أريس (أو بئر الخاتم)، وبئر غرس، وبئر حاء، وبئر بضاعة، وبئر أنس بن مالك، وبئر عثمان بن عفان (بئر رومة)، وبئر معونة. وقد دخلت بعض تلك الآبار في توسعات المسجد النبوي الشريف والامتداد العمراني للمدينة، ودخل بعضها ضمن أملاك زراعية، ومواقعها معروفة مثل: بئر غرس، وبئر بضاعة، وبئر رومة.

كما كانت بالمدينة آبار أخرى كثيرة حفرها الأمراء والأعيان في مزارعهم الخاصة حول المدينة وفي وادي العقيق، منها بئر عروة بن الزبير، وما تزال آثارها باقية حتى اليوم في المكان المعروف باسم بئر عروة.

العيون: اشتهرت المدينة المنورة أيضاً بالعيون. وقد استصلحت ومدت مياهها من مشارف المدينة إلى وسطها منذ بداية العصر الإسلامي، خاصة تلك العيون التي أنشأها مروان بن الحكم، والي المدينة في عهد معاوية بن أبي سفيان. وبلغ عدد العيون بالمدينة نحو أربع وأربعين عيناً. ومن أشهر تلك العيون عين الشهداء التي حفرها مروان بن الحكم من جهة جبل أحد وسيرها حتى

بساتين خيف الثنايا في الجهة الغربية من المدينة.

أما العين الأخرى الأكثر شهرة فهي عين الزرقاء، أو عين الأزرق، وهي أيضاً من أعمال مروان بن الحكم في عهد معاوية بن أبي سفيان. ومنبعها من قباء (شمال غربي مسجد قباء) وكانت هذه العين في القرن التاسع الهجري تصل حتى باب الرحمة في المسجد النبوي الشريف، وتنتهي في بركة كبيرة تسمى بركة الحاج. وقد استمر الخلفاء والأمراء المسلمون في عمارة هذه العين حتى العصر الحاضر، فاستبدلت المجاري الأرضية للعين بالأنابيب المعدنية، وضربت آبار أرتوازية في منبع العين الأصلية. وكانت هذه العين (عين الزرقاء) حسب وصف المؤرخين لها، تسير إلى المدينة في قناة أرضية مبنية بناءً محكماً، ويتفرع من المجرى الأصلي للعين فروع كثيرة في جهات المدينة، وقد زودت تلك المجاري بخرزات (فتحات) ينزل إليها بسلالم حجرية. وفي فترات تاريخية كان مجرى العين في مستويين، المستوى الأول وهو العلوي محفور في الطبقة الصخرية ومبلط، وأسفل منه مجرى آخر غير مبلط. ويساعد هذا النظام على امتصاص الملوحة، ولهذا اشتهرت عين الزرقاء بعذوبة مائها وصفائه.

السدود: من المنشآت المائية المهمة التي عرفتها مدينة الرسول ﷺ منذ عصر صدر الإسلام. وقد ساعدت تلك السدود على توفير المياه لأغراض الزراعة من جهة، ودرء مخاطر السيول عن المناطق السكنية من جهة أخرى. ومن تلك السدود المبكرة ردم عثمان بن عفان عند بئر مدري، لرد السيل عن المسجد النبوي، كما أقام عثمان بن عفان # خليجاً على وادي العقيق يسمى خليج بنات نائلة، عمل فيه ثلاثة آلاف من العمال الأعاجم.

ومن السدود الأثرية الباقية في المدينة المنورة حتى اليوم: سد عاصم في شرقي جماء تضارع، ويصل طوله إلى نحو ٣٦م وعرضه ٢,٥م. وسد عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان # في وادي رانوناء، ويعرف أيضاً بسد عنتر وهو ثلاثة سدود متصلة أطوالها ٦٥, ٤٩،

سد الخنق – المدينة المنورة

سد معاوية وحجره التأسيسي في وادي الخنق – المدينة المنورة

٨٥م. وهناك سد أثري اكتشف حديثاً إلى الجنوب الشرقي من المدينة المنورة على طريق معدن بني سليم، وهو من السدود التي بناها معاوية بن أبي سفيان.

الكتابة والنقوش: تُعَدّ الكتابات والنقوش الصخرية من أقدم الآثار الإسلامية في المدينة المنورة وما حولها، وتشكل مصدراً مهماً للتعرف على الاستيطان الحضاري في منطقة المدينة المنورة في العصور الإسلامية المبكرة.

فمن أقدم النقوش الإسلامية المشهورة في المدينة تلك النقوش المنقورة على الواجهات الصخرية بجبل سلع، شمال غرب المسجد النبوي. وعلى الرغم من أن تلك النقوش غير مؤرخة إلا أن بساطة تنفيذها وورود أسماء فيها جعلت الدارسين يردون تاريخها إلى عصر الرسول ﷺ وخلفائه.

كما عثر بالمدينة على كتابات صخرية بجوار القصور الأموية المبكرة، خاصة القصر المنسوب لهشام بن عبد الملك أو مسلمة بن عبدالله بن عروة بن الزبير الواقع على الحافة الشرقية لوادي العقيق، مقابل جماء تضارع، وتشتمل هذه النقوش على أدعية لطلب الرحمة والمغفرة.

وفي وادي رانوناء، وبالقرب من السد الأثري المنسوب لعبدالله بن عمرو بن عثمان، هناك عدد من النقوش الإسلامية، منها بيت من الشِّعر يتحدث عن السد نفسه، بالإضافة إلى نقوش أخرى توضح تجديد عمارة السد سنة ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م.

ولعل من أحدث الكتابات الإسلامية المكتشفة في منطقة المدينة المنورة كتابات رواوه جنوب المدينة بحوالي ٥٠كم من المسجد النبوي الشريف. فقد عُثِر هناك على أكثر من ٥٥ نقشاً تشتمل على أسماء شخصيات لأسر سكنت المدينة المنورة، كثير منها ينتمي إلى عائلة الخليفة عمر بن الخطاب #. وتتراوح تواريخ تلك النقوش بين القرن الأول وبداية القرن الثالث للهجرة. ومن بين مجموعة نقوش «رواوه» أمكن التعرف على تسعة نقوش، منها خمسة مؤرخة في العصر الأموي، من تواريخها: ٩٦هـ، ١٠٠هـ، ١٢٠هـ، ١٢١هـ، وأربعة مؤرخة في العصر العباسي وتواريخها: ١٤٠هـ، ١٦٣هـ، ١٨٣هـ، ٢٤٦هـ.

وكذلك عثر على بعض النقوش التأسيسية من العصر المملوكي داخل المدينة المنورة، منها نقش يؤرخ لأحد الأربطة التي كانت قائمة في حي الأغوات، وهو رباط مظفر الذي أسس سنة ٧٠٦هـ (١٣٠٦-١٣٠٧م).

مَرْخ (الأعمدة المنصوبة)

مرخ اسم يعرف به عدد من الأودية في المملكة العربية السعودية، نظراً لنمو شجر المرخ فيها. ووادي مرخ المقصود ههنا هو أحد أودية محافظة السليل بمنطقة الرياض، ويبعد عن مدينة السليل إلى الجنوب بنحو ٤٠كم. ويقع على خط الطول ٣٥ َ ٤٥ْ شرقاً ودائرة العرض ٢٠ َ ٠٥ْ شمالاً.

والموقع -حسب ما نعلم- لم ينفذ فيه أي عمل ميداني لدراسة آثاره حتى الآن. كما لا نجد له ذكراً في كتابات الرحالة الذين جاءوا إلى المحافظة، خاصة أعمال هاري سنت جون فيلبي. وكذلك لم يأت له ذكر في تقرير فريق مسح إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف، الذي مسح المحافظة سنة ١٩٧٨م. وفي سنة ١٤١٧هـ زار مسفر حمد الودعاني موقعاً أثرياً بالوادي ذكره له المسنون من الرعاة، فالتقط صوراً لما رآه في الوادي، وروى بالوصف ما شاهده.

ويتمثل الموقع الأثري في أعمدة منصوبة، لم يرد لها ذكر فيما نشر من

تقارير وكتب. وتقع تلك الأعمدة في وسط الوادي، مكونة دائرة قطرها قرابة ١٥م، تساقط معظم أعمدتها، وتبعد عن الجبل المجاور بمسافة قدرها ٨٠م. ويتراوح ارتفاع الأعمدة المتبقية من ٥٠سم إلى ٨٠سم، ومنها ما يصل ارتفاعه إلى ١,١٠م. وتظهر الصور أن الأعمدة فقدت أجزاءً منها، خاصة العلوية، بتأثير الرياح والأمطار. ويُذكر أن عمق الجزء المدفون من تلك الأعمدة يصل إلى ٥٠سم، وهذا يؤكد أنها مجلوبة إلى المكان ومنصوبة لتؤدي وظيفة معينة، وإن كنا لا نعلم على وجه الدقة، الزمن الذي جلبت فيه، إلا أنه زمن -بلا شك- يسبق ظهور الإسلام بقرون طويلة، استدلالاً بالنقوش والرموز التي وجدت على أحد الأحجار.

وتتمثل أهمية هذا الموقع في أنه أحد المواقع في المملكة التي وجدت فيها نقوش -وربما كانت رسوماً أو وسوماً قديمة- على أحد الأعمدة.

إن مواقع الأعمدة المنصوبة في بلادنا لم تدرس ولم تفسر بعدُ، حتى الآن على الرغم من أن معرفتنا بها بدأت مع بداية قدوم الرحالة الأوروبيين. ولعل أول من ذكرها هو وليم بلجريف Palgrave، الذي دون معلومات عن أعمدة منصوبة في منطقة القصيم شاهدها أثناء مروره فيها فيما بين عام ١٨٦٢م-١٨٦٣م، ووصفها بأنها دائرية الشكل، وأنها قد تعود إلى إرم أو العمالقة.

ثم أتى اكتشاف أعمدة الرجاجيل في منطقة الجوف، حين مر بها فردريك وينيت Winnet ووليم ريد Reed عام ١٩٦٢م ونشرا تقريراً عنها عام ١٩٧٠م. وفي عام ١٩٧٧ زار بيتر بار Parr الموقع، مشرفاً على فريق المسح الذي كلفته إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف بمسح الإقليم الشمالي للمملكة العربية السعودية، فكتب عن موقع الرجاجيل التقرير المنشور سنة ١٩٧٨م بخصوص نتائج ذلك المسح.

وفي سنة ١٩٧٠م ذكر بيتر بار وزملاؤه وجود دوائر حجرية في مستوطنة قُرَيَّة في أقصى الشمال الغربي للمملكة العربية السعودية، شاهدوها أثناء زيارتهم لها سنة ١٩٦٨م. وهي دوائر مشيدة بالحجارة، ويوجد في منتصف كل دائرة حجران منصوبان.

وبعد ذلك تمكن فريق من إدارة الآثار والمتاحف سنة ١٩٧٩م، كان على رأسه الباحث الأمريكي جوريس زارينس، من اكتشاف ثلاثة مواقع في منطقة الرياض، وهي موقع مجيرة، في محافظة الدوادمي،

وموقع الملح، الواقع إلى الغرب مباشرة من مدينة القويعية، وموقع في محافظة ضرما، ويعرف بالرقم (٢٠٧-٤٣) في سجلات إدارة الآثار والمتاحف.

وفي عام ١٩٨٣م نقب فريق إدارة الآثار والمتاحف بإشراف حامد أبو درك في الموقع رقم ١ في الثمامة، الواقع إلى الشمال الشرقي من مدينة الرياض بمسافة قدرها ٩٠كم تقريباً. وكشف التنقيب عن دائرة حجرية تكونها أعمدة منصوبة، وفي وسط الدائرة أعمدة منصوبة أخرى. ويُعد هذا المثال الأول من نوعه الذي اكتشف بعد إزاحة الرمال التي كانت تغطيه. وربما أدى إلى طمر الموقع في وادي الثمامة ما تجرفه السيول وتذروه الرياح من رمال الكثبان المجاورة. وقد نشر أبو درك تقريراً عن نتائج عمله. ومما أشار إليه أن ما وجد في الموقع من معثورات حجرية كرؤوس السهام والحراب ذوات التقنية الجيدة، هي معثورات يدل وجودها على أن الموقع يعود إلى فترة زمنية من فترات العصر الحجري الحديث.

وقد كشف علي بن إبراهيم غبان عن مجموعة من الأعمدة في منطقة تبوك في مكان يعرف باسم خبة التماثيل. وما اكتشفه الغبان يعد في مجمله مادة النقوش القديمة والإسلامية والرسوم الصخرية والوسوم. ويتمثل ما وجده من مادة أثرية منقولة في مجموعات من الأدوات الحجرية الصوانية فقط.

ثم كشفت الباحثة البريطانية آيونز ثمبسون عن مجموعة من الأعمدة المنصوبة في موقع بين الرياض والخرج، وهو إلى الرياض أقرب، ونشرت رسماً له ووصفاً، وذكرت أن ارتفاع بعض الأعمدة يصل إلى مترين.

ومما لا شك فيه أن ظاهرة الأعمدة المنصوبة تستحق الدراسة، لما تنم عنه من تساؤلات عديدة أهم تساؤل منها، هو: لمَ حملت بعض تلك الأعمدة علامات ونصوصاً قديمة، وبعضها يلم حمل شيئاً مطلقاً؟. فبعض الأعمدة التي اكتشفها علي غبان في موضع خبة التماثيل تحمل نقوشاً متنوعة، منها القديم ومنها الإسلامي، وتحمل كذلك رسوماً صخرية، وربما وسوماً. ويظهر ذلك أيضاً على بعض أعمدة موقع الرجاجيل في الجوف. وفي موقع وادي مرخ في محافظة السليل تظهر النقوش أو العلامات على لوح واحد من الألواح الباقية على وضعها الذي كانت عليه في بداية عهدها. ولم تذكر آيونز ثمبسون وجود نقوش أو علامات على الأعمدة المنصوبة فيما بين الرياض والخرج. كما

لم يذكر فريق إدارة الآثار والمتاحف وجود علامات أو نقوش على أعمدة المواقع السالفة الذكر التي اكتشفها عام ١٩٧٩م.

مَسْعُودة

تقع مسعودة في منطقة جبلية إلى الشمال الشرقي من شعب الثعبان، جنوب غرب المملكة، أحد روافد وادي قرما المشهور على خط الطول ١٤َ ٤١ْ شرقاً ودائرة العرض ٤٠َ ١٩ْ شمالاً في منطقة مكة المكرمة. والمسافة بينها وبين قرية العقيلي، أقرب المواقع المعروفة والمأهولة إليها، حوالي كيلومترين يمتدان عبر الطريق الجبلي الوعر الذي يصل بينهما. وهي في منخفض تحيط به الجبال من جميع الجهات: فمن الشمال والغرب جبال الشَّبْك، ومن الجنوب والشرق جبال الحَبْل. والسكان المجاورون للموقع هم في الغالب من عشيرة آل ظهير الزهرانية. وعلى الرغم من الأهمية الأثرية لمسعودة وقِدَم الاستيطان بها، إلا أنها لم ترد في أي من المصادر الجغرافية والتاريخية التي وصلت إلينا، ولا نعرف عن هويتها شيئاً، سوى أن موقعها يجعلها ضمن إمارة منطقة مكة المكرمة، وبالتحديد ضمن مخلاف عشم التابع للإمارة في تهامة، والمنسوب إلى مدينة عشم التي كانت العاصمة الإقليمية لذلك المخلاف المسمى باسمها، وتقع أطلالها على بعد حوالي ١٠كم إلى الجنوب الغربي من

ركام المباني الأثرية في قرية مسعودة

مسعودة. وكانت مسعودة وعشم متعاصرتين إلى حدٍّ ما، وتتشابهان في كثير من الظروف والملامح التي سادتهما، وتركت بصماتها على مخلفاتهما الأثرية.

وتعد مسعودة من المواقع الأثرية الصغيرة في تهامة، إذ لا تتجاوز مساحتها ٩٠,٠٠٠ م٢. وتأتي من حيث الأهمية العمرانية والمعطيات الأثرية في المرتبة الثالثة في مخلاف عشم، بعد عشم نفسها والأحسبة الشمالية التي سبقت الإشارة إليها. إلا أن جدران المنازل في مسعودة أوضح من جدران منازل عشم، وتصل في بعض ارتفاعاتها إلى ١٥٠سم تقريباً. ولعل ذلك يعود إلى أنها لم تتعرض كثيراً لعبث المارة، كما أن الجبال المحيطة بها من جميع الجهات شكلت مصدات للرياح ولسفي الرمال، الأمر الذي يفسر عدم وجود ردميات ترابية بالموقع. فجميع آثارها شاخصة، ولا يوجد عمق طبقي بها يشجع على الحفر بها.

إنّ مادة البناء الوحيدة في منازل مسعودة هي الحجر الجبلي الصلد الذي جلب من الجبال القريبة من الموقع. وقد ظل أسلوب البناء في مسعودة يشبه نظيره في المواقع الجبلية القريبة منها حتى عهد قريب. ووجد من بين مباني مسعودة المتهدمة بعض منازل حديثة البناء نسبياً بدليل وجود شاهد قبر، استخدم عتبةً لأحد المنازل، عليه كتابة كوفية ربما تعود إلى القرن الأول أو الثاني الهجريين/ السابع أو الثامن الميلاديين كما توجد مخربشات خطية كثيرة متناثرة على ما بقي من جدران المنازل المتهدمة، يعتقد أنها أحدث من الكتابات التي على شواهد القبور، وأن كاتبيها ربما كانوا يقلدون الكتاب المحترفين الذين تخصصوا في كتابة شواهد القبور في الموقع. كما تتناثر في الموقع وقريب منه أعداد من الرحيّ المشابهة لتلك التي عثر عليها في عشم والأحسبة الشمالية، ويظن أنها كانت مساحن تستخدم لاستخراج الذهب، مما يدل على أن منجم ذهب عشم المذكور في بعض المصادر، يشمل هذا الموقع، وموقع الأحسبة.

ويقع المورد المائي الوحيد للقرية على بعد ٢٠٠م إلى الجنوب الغربي من الحي السكني، وهي بئر مطوية بإحكام من الحجر الجبلي الصلد، ولها فوهة محكمة

فوهة بئر قديمة –قرية مسعودة

البناء من الحجر نفسه، ترتفع عن الأرض بمقدار ٤٠سم. وهي كما قيل بئر هلالية، أي قديمة، وربما حفرت حين كانت القرية عامرة، إلا أنها الآن مهجورة.

أما المقبرة فتمتد إلى الشرق من الحي السكني بمسافة قصيرة، ومقابرها بسيطة وغير مُسَنَّمة، وتبدو عليها ملامح القدم، وبها عدد غير قليل من شواهد القبور المنقوشة بكتابات كوفية جميلة، تعود في الغالب إلى القرون الثلاثة الأولى للهجرة النبوية، سوى شاهدٍ واحدٍ فقط نقش بطريقة مغايرة لبقية الشواهد، أي بطريقة الحفر البارز. وربما يعود إلى أواخر القرن الرابع، أو أوائل القرن الخامس الهجريين/ أواخر القرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر الميلاديين، إذ يغلب على الظن أن مسعودة كانت معاصرة لعشم القريبة منها.

ويوجد غير بعيد من موقع مسعودة، موقع أثري آخر يعرف باسم النصايب، مفردها نصيبة، أي شاهد قبر، وهو يتسنم ربوة رملية تقع إلى الغرب من مسعودة بحوالي كيلومترين، ويعرف أيضا باسم الصهوة، أي صهوة الحصان، أو المرتفع المستوي من الأرض. ولهذه التسمية دلالة على الموقع الذي يبدو حتى الآن على

شاهد قبر منقوش – قرية مسعودة

هذه الصفة. وهو مقبرة صغيرة في صحراء مقفرة، يقع جنوبها شعب الثعبان، على بعد حوالي ٥٠٠م، وفي شرقيها على بعد المسافة نفسها يقع شعب آخر يفصلها عن قرية العقيلي.

ولا يوجد بالموقع أي أثر لبناء، أو ما يدل على الاستيطان به، سوى آثار لكسر فخارية قليلة متناثرة على بقعة صغيرة قريبة من المقبرة، ويبدو أن المساكن كانت ذات طابع مؤقت يعتمد على الخشب والقش الذي تبنى به بيوت تعرف محلياً باسم العشش وكانت معروفة في المنطقة حتى عهد قريب. أو أن المساكن مطمورة تحت الكثبان الرملية التي تحيط بالموقع من جميع الجهات، أو أن هذه القبور تخص عائلة من عوائل المستوطنات القريبة فرضت التقاليد على أفرادها أن يدفنوا موتاهم في هذا المكان بعيداً عن موضع سكناهم. وقد ضمت مقبرة النصايب عدداً قليلاً من شواهد القبور ذات الكتابة الكوفية الغائرة وغير المؤرخة، وتعود في أساليب كتابتها إلى القرون الثلاثة الأولى للهجرة النبوية. وهي تتشابه مع مثيلاتها من الكتابات المعاصرة لها في كل من مسعودة والأحسبة الشمالية وعشم.

مَعْدِن بني سُليم (مهد الذهب)

يسمى الآن مهد الذهب أو المهد، ويقع على الحافة الشرقية لحرة رهاط بين مكة المكرمة والمدينة المنورة، عند تقاطع خط الطول ٥٢َ ٤٠َ شرقاً ودائرة العرض ٣٠َ ٢٣ْ شمالاً في منطقة المدينة المنورة. وتنقسم المنطقة الآن إلى ثلاثة أقسام: معدن بني سليم، وهي المحطة الواقعة على طريق الحج (درب زبيدة) في وادي المعدن، ولا تزال أطلالها قائمة، وجبل المعدن على بعد ٣كم جنوب غرب المحطة القديمة على يمين طريق الحج، وهو الجبل الذي كان يستخرج منه الذهب في العصور الإسلامية المبكرة.

وبالقرب من جبل المعدن من الناحية الجنوبية قامت محافظة المهد وكانت في السابق قرية صغيرة المساحة، أما الآن فهي مدينة مخططة وتشتمل على عدد من المرافق الحكومية من إدارية وصحية وتعليمية.

وتذكر المصادر أن معدن بني سليم كان لبني سليم بن منصور بن عكرمة. وأن الرسول ﷺ أقطع بلال بن الحارث المزني أرضاً فيها جبل ومعدن بناحية الفرع، وأن بني بلال باعوا عمر بن عبدالعزيز أرضاً منها فظهر فيها معدن أو معدنان فقالوا: إنما بعناك أرض حرث

موقع معدن بني سليم

ولم نبعك المعدن. وتذكر المصادر أن كثير بن عبدالله كان عاملاً على معدن بني سليم سنة ١٢٨هـ. ويذكر أيضاً أن معدن بني سليم كان به ذهب كثير يستخرج في قديم الدهر ويحفر عليه في جبلٍ يُمْنَة الطريق باتجاه مكة المكرمة، فعظمت مؤونة استخراجه على بني سليم، لأنهم إذا استخرجوه جاءتهم قبائل الحريش وجعدة وقشير وأخذوه منهم وغلبوهم عليه. ويروى أن تراب البلد مخلوط بالذهب، وأن الذي حملهم على تركه هو أن المؤونة أكثر مما يخرج منه.

والذي يبدو أن الموقع هُجر في العصر الإسلامي المبكر لعدة أسباب، منها عدم توافر الأمن، وجهل القبائل التي حلت في المنطقة بعد رحيل قبيلة بني سليم خارج الجزيرة العربية، بالمعدن وطرائق استخراجه.

وقد ظلت آثار التعدين القديمة باقية حتى عهد قريب، إذ كانت تشاهد منشآت المباني المعدة لسكن العمال والمشرفين على المعدن، وأحجار الرحيّ الكبيرة المستخدمة في جرش الصخور واستخراج الذهب. ويمكن مشاهدة مناطق الحفر العميق لتتبع عروق الذهب في باطن الأرض وفي جبل المعدن. وفي الفترة ما بين سنة ١٩٣٩م وسنة ١٩٥٤م أعيد استثمار منجم الذهب باستخدام الآلات الحديثة.

أرحية حجرية من موقع معدن بني سليم

وفي الآونة الأخيرة أعيدت أعمال التنقيب عن خامات الذهب والمعادن الأخرى في المنطقة كلها بطريقة حديثة، فاختفت تبعاً لذلك آثار التصنيع القديمة التي كانت باقية في الموقع منذ العصور القديمة.

أما معدن بني سليم، المحطة الواقعة على وادي المعدن، فهي مطابقة لما ورد من وصف عنها في المصادر الجغرافية في القرن الثالث الهجري إذ تذكر تلك المصادر أن بها قصراً ومسجداً وبركة مدورة زبيدية، وآباراً كثيرة قديمة وحديثة لها أسماء. فالمحطة القديمة تشتمل على آثار لوحدات سكنية وقصر أو حصن ومسجد. ويمكن مشاهدة أساسات المباني والامتدادات الجدارية والآبار القديمة المطمورة، وكذلك بركة دائرية مطمورة قطرها حوالي ٣٠م. وتنتشر على سطح الموقع أحجار الرحيّ الكبيرة المكتملة وأخرى متكسرة، بالإضافة إلى كسر الفخار والخزف والزجاج.

وبالقرب من الموقع في الجهة الغربية، على الواجهات الصخرية، هناك بعض الكتابات الإسلامية المبكرة. كما ذكرت المصادر أن الخليفة العباسي هارون الرشيد كان ينزل في موضع يقال له الريان على بعد ميلين ونصف من المعدن (المحطة). وقد وصف هذا الموقع في القرن الثالث بأنه منزل خرب وبه

قصور للخليفة وقادة الجند والموالي وحوانيت خربة وآبار، وعلى بعد ميل منه بركة مربعة ومصفاة. أما البركة فلعلها هي بركة السايلة المعروفة الآن جنوب مدينة المهد بحوالي كيلومترتين، وهي مربعة تقريباً، أبعادها في حدود ٥٧م × ٥٤م.

المُعظَّم

يقع المعظم على بعد ١٤٠كم جنوب شرق تبوك، على خط الطول ٣١َ ٣٧ْ شرقاً ودائرة العرض ٤٥َ ٢٧ْ شمالاً في منطقة تبوك. وهو من منازل طريق الحج الشامي، وعرف باسم أسفل الحاكة في كتابات الرحالة الذين عددوا منازل الطريق الشامي في مطلع القرن السابع الهجري. ثم حمل اسم بركة المعظم بعد أن أنشأ فيه الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل بن أيوب بركة كبيرة ضمن مشروعه لعمارة طريق الحج الشامي. وخلال العصرين المملوكي والعثماني اشتهر المكان باسم المعظم.

وتوجد بالمعظم آثار لطريق الحج الشامي ترجع إلى الفترة الممتدة من العصر الأيوبي إلى نهاية العصر العثماني، وتشمل هذه الآثار:

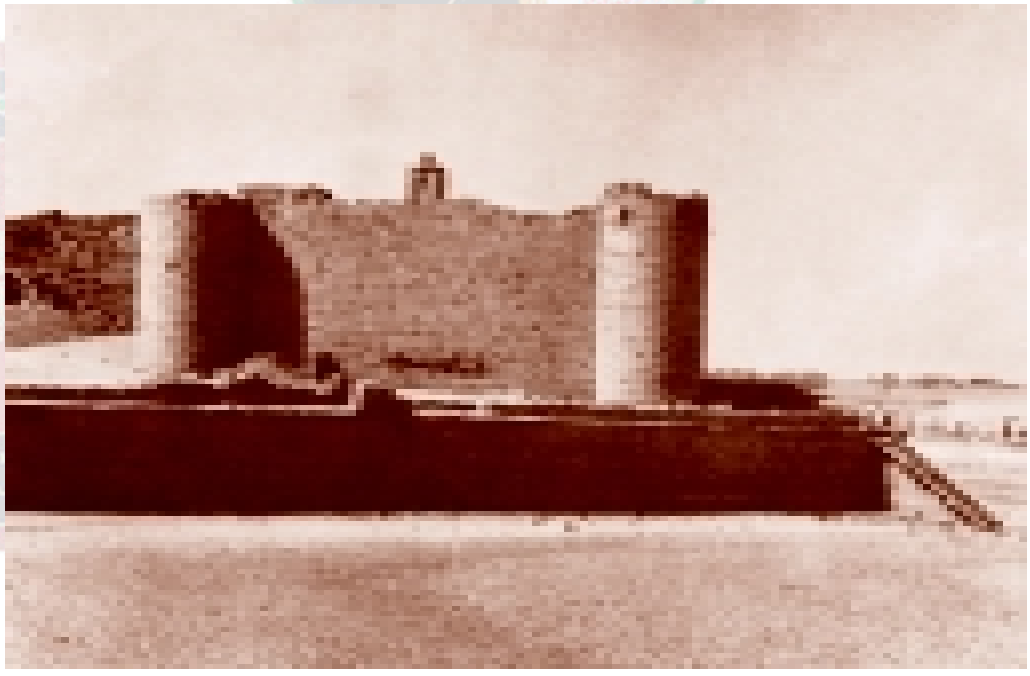

بركة المعظم وخلفها القلعة

بركة المعظم: وهي أكبر بركة باقية على مسار الطريق الشامي، وقد بنيت سنة ٦١١هـ في عهد الملك المعظم عيسى، ثم رممت سنة ٧٦٧هـ بأمر من يلبغا الأشرفي، أتابك العساكر في عهد السلطان المملوكي الأشرف شعبان، كما يتضح من نص منقوش على مسلتين حجريتين وجدتا بجانب البركة.

قلعة المعظم: وتقع بجوار البركة، وهي قلعة عثمانية بنيت في عهد السلطان عثمان الثاني سنة ١٠٣١هـ/ ١٦٢٢م على يد حاكم بلاد الشام الوزير سليمان آغا. وهي ذات مسقط مربع الشكل، ولها أبراج دائرية في أركانها الأربعة. وتتكون من الداخل من فناء أوسط يحيط به طابقان من الغرف. وتوجد في الواجهة الشرقية للقلعة أربعة نقوش تأسيسية كتبت باللغة التركية العثمانية تؤرخ لبنائها.

محطة سكة الحديد: وهي من المحطات الصغيرة، وتقع بالقرب من البركة وإلى جوارها خزان ماء بني مع

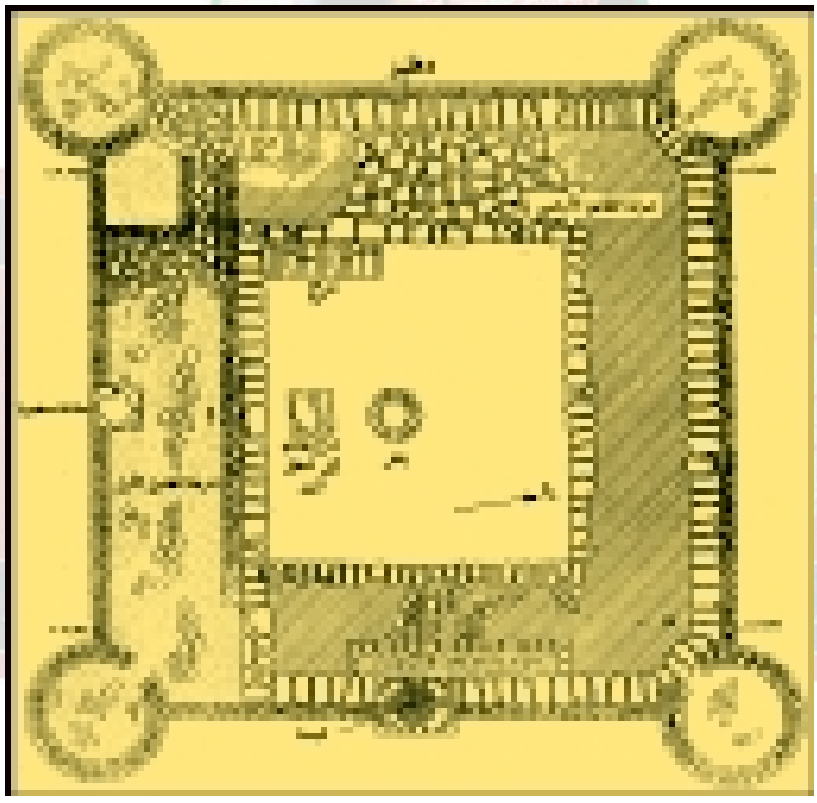

مخطط لقلعة المعظم

مبنى المحطة لتوفير الماء اللازم لقطارات سكة حديد الحجاز.

مَفْرق لينة

يوجد الموقع على بعد ١١كم إلى الجنوب الشرقي من المفرق الموصل إلى لينة على خط الطول ٥٧َ ٤٣ْ شرقاً ودائرة العرض ١٥َ ٢٩ْ شمالاً بمنطقة الحدود الشمالية، شرق وادي الخشيبي. وهو منطقة تلال على أحدها مجموعة من الأبنية والدوائر الحجرية، ويبلغ ارتفاعها ٤٠سم، وسمكها متر واحد، وكلها من الكتل الحجرية البيضاء. وعثر في الموقع على مجموعة من الأدوات الحجرية الدقيقة، شفرات ورقائق ومكاشط، إضافة إلى رأس سهم من الصوان الأحمر، وهي دقيقة الصناعة. ويرجع تاريخ الموقع إلى العصر الحجري الحديث.

مقابر جنوب الظهران

يطلق هذا الاسم على منطقة استيطان واسعة تقع على بعد ٤كم إلى الجنوب من مطار الظهران (السابعة)، في المنطقة الشرقية، على خط الطول ٨ ٠َ ٥٠ْ شرقاً ودائرة العرض ١٨َ ٢٦ْ شمالاً. وتبلغ المساحة الكلية للمنطقة حوالي ١٦٠٠ هكتار، بطول يبلغ ٨كم من الشرق إلى الغرب، وعرض يبلغ كيلومترين من الشمال إلى الجنوب. ويعتقد أنها تحوي مستوطنات، ومحطات طرق، ومدافن ركامية.

عرف الباحثون منطقة جنوب مطار الظهران الأثرية منذ النصف الأول من القرن العشرين الميلادي عندما أصبح بعض العاملين في شركة الزيت العربية السعودية (أرامكو) على علم بها. ثم زار موقع المدافن الباحث الأمريكي بيتر كورنوول P. Cornwall سنة ١٩٤٠م فوجد عدداً من المدافن منهوباً. ثم زارها الباحث الإنجليزي جفري بيبي B. Bibby سنة ١٩٦٢م ونشر تقريراً عنها سنة ١٩٦٤م. ثم زارها فريق مسح من إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف لموسمين متتاليين عامي١٩٧٦م، ١٩٧٧م، أجرى في ثانيهما إحصاءً لمدافن المنطقة، ورسم خارطة أثرية عامة لها، وقسم موضع المدافن إلى جزءين رئيسيين، سمى واحداً أ وسمى الآخر ب. وتقتصر أعمال الحفر التي تمت في موضع المدافن على ما نفذه فريق آثاري من إدارة الآثار والمتاحف على مدار أربعة مواسم، تم خلالها حفر ما يقرب من ستين مدفناً بين عامي١٩٨٣م-١٩٩٣م.

حفرية بإحدى مقابر جنوب الظهران

وتجدر الإشارة إلى أنه لم يجر أي عمل آثاري في المستوطنات ومحطات الطرق، واقتصر ما نفذ من عمل على المدافن الركامية فقط، التي تحتوي، كما تفيد الأعمال الآثارية المشار إليها، على مدافن متنوعة تباينت التقارير الآثارية في أعدادها، لكن المؤكد أنها تتكون من خمس مجموعات توجد في مواضع مختلفة داخل المنطقة الأثرية. وتبلغ المدافن ٩٠٠ مدفن ركاميّ، حسبما جاء في آخر إحصاء نفذته إدارة الآثار والمتاحف سنة ١٩٧٧م. وتتنوع تلك المدافن سواء في زمنها أو تصميمها أو عمارتها، إذ يتضح أن بعضها شيد باستخدام الحجر الجيري المتوافر في المنطقة، وبعضها شيد باستخدام الطوب الطيني المحروق. ويغلب على تلك المدافن طابع المدافن الجماعية، على الرغم من أن عدداً منها يتكون من مدفن واحد. وفي العادة تحتوي المقبرة على مدفن رئيسي ومدافن ثانوية أو مدافن ملحقة بالمدفن الرئيسي. ويُشيد المدفن الرئيسي في الوسط ويغطى بصفائح حجرية قد تكون لوحاً واحداً أو عدة ألواح. وتحاط المقبرة بجدار دائري، ثم تُملأ بالأحجار والأتربة لتكون في النهاية على هيئة تل.

وتفيد نتائج دراسة المواد الأثرية المكتشفة في المدافن التي تم حفرها، أن المدافن تغطي امتداداً زمنياً يبدأ بالألف الثالث قبل الميلاد، شاملاً لفترات

حضارات أم النار، ودلمون المبكرة، ودلمون المتأخرة، والكاشية (فترة حضارية تمتد زمناً من القرن السادس عشر قبل الميلاد، عندما احتل الكاشيون أرض بلاد الرافدين، وتستمر حتى منتصف القرن الثاني عشر قبل الميلاد عندما تمكن الآشوريون والعلاميون من القضاء عليهم بإخراجهم منها). وكذلك الآشورية، والبابلية، والأخمينية، والهلينستية، والرومانية، والساسانية، ويستمر حتى نهاية القرن السادس الميلادي (٢٧٥٠ ق.م-٦٠٠م)، إذ لم يكتشف ما يدل على أنها استخدمت في الفترة الإسلامية.

وقد نتج عن الجهود الآثارية سالفة الذكر جمع مادة أثرية تشتمل على التالي:

١) مجموعات كبيرة من الأواني الفخارية التي تحتوي على الفخار المدهون وغير المدهون والمزجج، ومجموعات مستوردة أشهرها مجموعة الفخار اليوناني والنبطي والروماني.

٢) مجموعات من الأواني الحجرية المصنوعة على الأغلب من الحجر الصابوني الأسود أو الرمادي، والتي تكون في بعض الأحيان مزخرفة بأشكال هندسية نفذت بطريقة الحز.

أختام من موقع جنوب الظهران

٣) مجموعة من الأختام تُعَدّ أكبر مجموعة اكتشفت في المملكة حتى عام ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م. وتحتوي هذه المجموعة على نماذج متنوعة في أشكالها ومادة صنعها.

٤) سلال مطلية بمادة القطران.

٥) مجموعات من المصنوعات المعدنية المشغولة من الحديد والنحاس والذهب، تشتمل على المناقيش، والمراود، والخواتم، والأساور، والسيوف، ورؤوس السهام، والخناجر، والأنوال، وأقراط الأنف، وأقراط الأذن.

٦) بيض النعام المستخدم لحفظ السوائل، أو في المعابد لأغراض تعبدية.

٧) مكاحل مصنوعة من العاج.

٨) مجموعة من المجامر الصلصالية متنوعة الطُّرُز.

٩) مجموعات كبيرة من الخرز مصنوعة من مواد مختلفة، تشمل حجر

خرز من مقابر جنوب الظهران

العقيق المؤطر، والعقيق الأحمر، والعقيق المحفور، والحجر الصابوني، والأصداف، والخرز الصيني المفصص.

١٠) عدد من النقوش العربية القديمة (ثمودية) تضمنتها شواهد قبور.

١١) مجموعات من الأواني الزجاجية.

١٢) كميات من العظام المدفونة عن قصد.

١٣) بعض الأدوات الصغيرة، مثل سلطانية بيضاء صغيرة مع خمس كرات حجرية صغيرة، منها أربع كرات لونها أسود، والكرة الخامسة لونها أبيض.

مَقْنا

تقع مقنا على خليج العقبة على خط الطول ٤٥ َ ٣٤ ْ شرقاً ودائرة العرض ٢٤ َ ٢٨ ْ شمالاً بمنطقة تبوك، وتبعد ٣٥كم إلى الغرب من واحة البدع شمال غرب المملكة، وهي ساحل مدين وإحدى المستوطنات الَمْدَيَنِّية القديمة. كانت واحة عامرة ومأهولة في صدر الإسلام، وقد صالح أهلها الرسول ﷺ على ربع ما أخرجت نخيلهم وربع ما صادت عروكهم (صيادو السمك) وربع ما اغتزلت نساؤهم. ويوجد بمقنا موقع أثري مهم يقع على هضبة تطل على مياه الخليج، وبجواره مجاري عين مقنا، وهي عين قديمة، كما توجد بمقنا آثار قديمة في كهوف الجبال التي تحتضن الواحة.

مكة المكرمة

تقع مكة المكرمة على خط الطول ٤٩ َ ٣٩ ْ شرقاً ودائرة العرض ٢٧ َ ٢١ ْ شمالاً. وإلى الجنوب الشرقي من مكة المكرمة تقع مدينة الطائف بحوالي ٨٨كم، وإلى الغرب منها تقع مدينة جدة بحوالي ٧٣كم.

ذكرت المصادر المبكرة أن لمكة المكرمة أسماءً عديدة من أشهرها: بكة، مكة، أم القرى، البلد الأمين، والبلد الحرام.

نشأت مكة المكرمة في وادٍ غير ذي زرع تحيط بها الجبال. كما أخبرنا القرآن الكريم على لسان سيدنا إبراهيم عليه

الحرم المكي الشريف تحيط به أحياء مكة المكرمة

السلام ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم﴾ (سورة إبراهيم: ٣٧). وتشكل الكعبة المشرفة والمسجد الحرام المركز الرئيسي لمكة المكرمة؛ فقد قامت الأحياء السكنية حولهما، وامتدت المنازل والدور والأسواق والمرافق العامة على أطراف الشعاب وسفوح الجبال.

ونظراً لأهمية مكة المكرمة من الناحية الدينية فقد وصفها الجغرافيون والمؤرخون المسلمون على امتداد العصور الإسلامية، كما تمكن بعض الرحالة الغربيين من الوصول إلى مكة المكرمة في القرن التاسع عشر الميلادي وشاهدوها قبل وصول التقنيات والوسائل الحديثة إليها. ومن خلال تلك المصادر أمكن التعرف على المراحل التي مرّت بها مكة المكرمة وما طرأ عليها من تطور حضاري، وما قام به

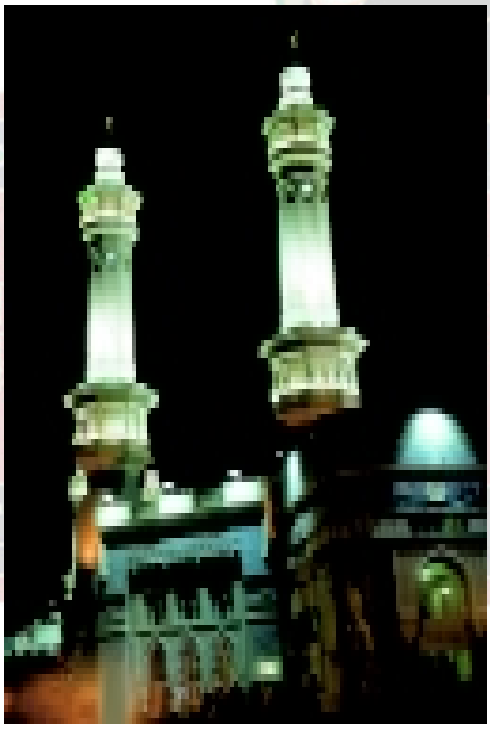

منارتان من منارات الحرم المكي

قلعة أجياد بمكة المكرمة تحيط بها المباني الحديثة

الخلفاء والولاة والأمراء والوزراء وغيرهم من إصلاحات عديدة وأعمال كثيرة فيها. ومن أبرز تلك الأعمال ترميم الكعبة المشرفة وعمارة الحرم المكي والعناية ببئر زمزم والمرافق الأخرى، سواء بمكة المكرمة أو المشاعر المقدسة في منى وعرفات.

سد من سدود منى

وما تزال مكة المكرمة تحتفظ بأسماء حاراتها القديمة ومعالمها الجغرافية من جبال وأودية. فمن الجبال المشهورة في مكة وذكرها يتردد في كتب السير والمصادر الجغرافية: جبل أبي قبيس الذي يطل على الكعبة والحرم من المشرق، وجبل قعيقعان الذي يشرف على المسجد الحرام من المغرب، وجبل حراء الذي نزل فيه الوحي على الرسول ﷺ، ويقع شمال شرق الحرم بحوالي ٦كم. وجبل ثور إلى الجنوب الشرقي من الحرم بحوالي ٦كم، وبه

بقايا بركة قرب جبل حراء

غار ثور الذي أوى إليه الرسول عند هجرته إلى المدينة المنورة.

ومن أسماء الأحياء القديمة الباقية في مكة: أجياد والمسفلة والشبيكة والحجون والمعابدة وشعب علي وشعب عامر وكدي. كما انتشر في مكة عدد من المقابر، من أهمها مقبرة المعلاة شمال الحرم، وبها دفن عدد من الصحابة والتابعين والعلماء. وتضم مقبرة المعلاة عدداً كبيراً من شواهد القبور، وتُعَدّ النصوص المحفورة على شواهدها مصدراً مهماً لدراسة تاريخ مكة المكرمة.

وتنتهي إلى مكة المكرمة الطرق الفرعية والرئيسية القادمة من خارج الجزيرة العربية وداخلها. ومن هذه الطرق: طريق الحج المصري وطريق الحج الشامي وطريق اليمن الداخلي وطريق اليمن الساحلي وطريق حج البصرة وطريق حج الكوفة وطريق الحج النجدي. وقد حُدّدت على هذه الطرق مواقيت للإحرام يُحرم منها الحجاج والمعتمرون قبل دخولهم إلى مكة المكرمة. وهذه المواقيت هي:

الجحفة، ميقات أهل مصر وما والاها غرباً وشمالاً.

ذو الحليفة: ميقات أهل المدينة ومن أتى عن طريقها من بلاد الشام وغيرها.

ذات عرق: ميقات أهل العراق.

قرن المنازل: ميقات أهل نجد.

يلملم: ميقات أهل اليمن.

وما تـزال مواضـع هذه المـواقيـت معروفة وآثارها باقية إلى الآن. وارتبطت مكة المكرمة بطريق رئيسي إلى جدة التي كانت، وما تزال، ميناءً مهمـاً للقادمين عن طريق البحر الأحمر.

وقد تـطورت مكـة المكرمة عـبر العصور التاريخية، وتحولت إلى مدينة مزدحمة بالسكان والزوار طوال السنة، وتزداد كثافة الناس في الموسم السنوي للحج. ولأنها منطقة جبلية فقد تميزت مبانيها بـتعدد طوابقها، وكانت تبـنى بالحجر، ولها مشربيات ونوافذ خشبية تسمـح بدخول الهواء والإضـاءة إلى المنازل. وتتميز الأعمال الخشبيّة بـدقة تنفيذها واحتوائها على عناصر زخرفية راقية.

وعَرفـت مكة المـكرمة منـذ القدم الصناعات المختلفة، خـاصة الصناعات المتعلقة بالبناء، مثل صناعة النورة والطوب وقطع الأحجار.

وتعـددت في مكـة المكرمـة، منذ العـصور الإسلاميّـة المبكرة، الأسـواق والمساجد والأربطة والأسبلة والحمَّامات والميضآت. كما استغلت الأودية القريبة من مكة المـكرمة للزراعة، ومـن أشهر

إحدى البرك الأثرية على طريق الحج اليمني

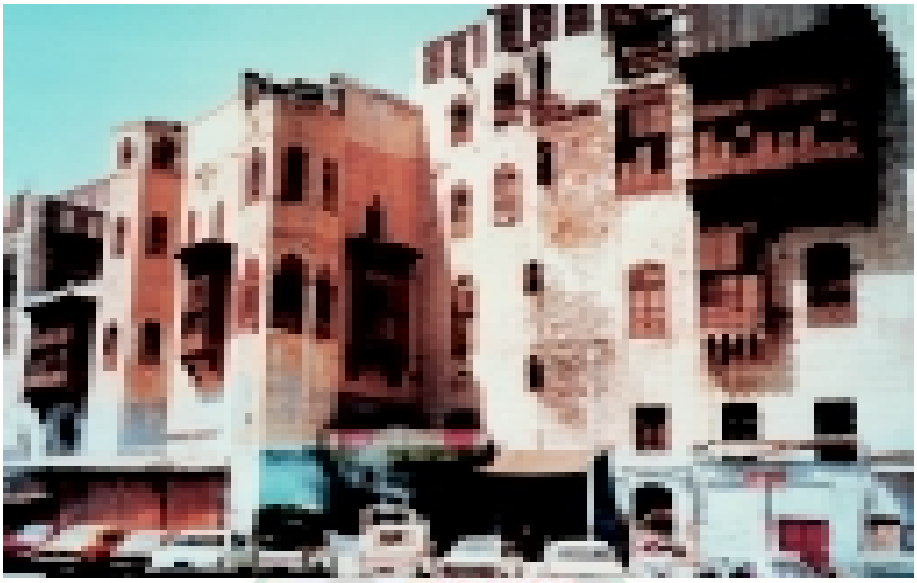

المنازل ذات الرواشين في أحياء مكة

هـذه الأودية: وادي فـاطمـة، ووادي النعمان، ووادي عرفة.

والآثار الإسلاميّة في مكة المكرمة والمناطق المحيطة بها كثيرة، ولكنها لم توثق بكاملها. أما الآثار الدينية المرتبطة بالمشاعر المقدسة فهي باقية ومعروفة في مواضـعها، مـثل: مسـجد نمرة فـي عرفات، ومسجد الخيف في منى، وقد أجريـت لهمـا توسعـات وتجديدات كثيرة.

ويصـعب حـصر كافـة الأطلال والمواضع الـقديمة والآثار الـباقية فـي مكة بكاملها، ولكن يمكن عرض أبرز الآثار والمكتشفات الحديثة على النحو التالي:

١) تولت حكومة المملكة مشروعاً مهماً، وهو تنـظيف بئـر زمزم التي تـنبع بالقـرب من الكعـبة المشرفـة، من الناحية الشرقية. وقد بدأ العمـل في المشروع بتاريـــخ ٢/ ٦/ ١٣٩٩هـ (٢٩/ ٤/ ١٩٧٩م) باستخدام تقنيات حديثة لـتنظيف البئر، وتم إخـراج أطنان من الرواسب الطينيّة والمخلفات السـاقطة في قـاع البئر مـنذ قرون بعيـدة. وبعد شهـرين من العـمل المتواصل تم تنظـيف البئر من كافة الركامات والمخلفات التي كانت سبباً في غلق منافذ المياه التي تصب في قاع البئر. ونتيجة لـهذا العمل عُثر على كميات كبيرة من أواني الفخار

والخزف ومواد معدنية كثيرة وعملات إسلامية متفرقة، بعضها يعود إلى نهاية العصر العثماني وبداية الدولة السعودية.

٢) نُشَاهد داخل الحرم المكي الشريف بعض الآثار البنائية القديمة التي تعود لعصر الخليفة العباسي المهدي ١٥٨-١٦٩هـ (٧٧٥-٧٨٥م) الذي تمت في عهده توسعة شاملة للحرم المكي الشريف. فإلى الجنوب من الكعبة المشرفة، باتجاه جبل الصفا، توجد أسطوانات رخامية، عليها نصوص كتابية بالخط الكوفي البارز، تؤرخ لأعمال الخليفة المهدي في المسجد الحرام سنة ١٦٧هـ/ ٧٨٣م. وكذلك توجد نصوص كتابيَّة أخرى من العصر المملوكي والعثماني وجميعها تسجل الزيادات والإصلاحات المعمارية التي كانت تتم على يد الخلفاء والسلاطين في الحرم المكي الشريف.

٣) نظراً لأهمية توفير المياه لسكان مكة المكرمة وزوارها وللمشاعر المقدسة فقد سعى الخلفاء منذ العصر الإسلامي المبكر إلى إقامة المنشآت المائية داخل مكة وخارجها. ومن أبرز الآثار الباقية ثلاثة سدود كبيرة بناها الوالي الأموي الحجاج بن يوسف الثقفي، بالقرب من منى، لحجز مياه السيول. وأكبر هذه السدود سد أثال الذي يصل طوله حوالي ١٤٠م وارتفاعه الحالي حوالي ٥,٦٠م وعرضه حوالي ستة أمتار وقاعدته أعرض من قمته، وبني بالحجارة الكبيرة. وعلى واجهات هذه السدود بعض الكتابات الإسلامية التي يمكن تأريخها للقرن الأول الهجري (السابع الميلادي). والمعروف أن الحجاج تولى إمارة مكة المكرمة في عهد الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان لمدة ثلاث سنوات ٧٣-٧٥هـ / ٦٩٢-٦٩٤م.

ومن السدود المشهورة بمكة المكرمة، وما تزال آثاره باقية، سد خالد بن عبدالله القسري والي مكة المكرمة في عهد الخليفة سليمان بن عبدالملك، ويقع السد في شعب ثقبة (منطقة الغسالة اليوم). ومن المنشآت المائية الباقية حتى اليوم أيضاً عين زبيدة التي أنفقت على حفرها وتشييدها السيدة زبيدة زوجة الخليفة العباسي هارون الرشيد. وقد

أجرتها زبيدة من مسافة تقدر بحوالي ٤٠كم جنوب شرق مكة المكرمة حتى أوصلتها إلى عرفات ومنى ومكة المكرمة. وتعاقب على إصلاح هذه العين الخلفاء والسلاطين، عبر العصور، وظلت مستخدمة حتى بداية (منتصف) القرن العشرين. ومن الآثار الأخرى التي يمكن مشاهدتها بالقرب من مكة المكرمة: آثار درب زبيدة، الممتد من الكوفة بالعراق حتى مكة المكرمة ومرافقه المختلفة من آبار وبرك وسدود.

٤) وتُعَدّ الكتابات والنقوش الإسلامية من أبرز الآثار الوثائقية التي تؤرخ لمكة المكرمة. فقد عثر بالقرب من عرفات ومنى على عشرات من النقوش الإسلامية مؤرخة من العصر الأموي والعباسي المبكر. وتعود التواريخ المدونة على هذه النقوش للسنوات: ٨٠هـ/ ٦٩٩م، ٨٤هـ / ٧٠٣م، ٩٨هـ/ ٧١٦م و١٨٩هـ/ ٨٠٤م. وهناك تواريخ أقدم لنقوش عثر عليها عند التقاء درب زبيدة بمكة المكرمة. كذلك يوجد نقشان مهمان يؤرخان لبناء مسجد البيعة في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور ١٣٦هـ-١٥٨هـ/ ٧٥٣-٧٧٤م، وأحد هذين النقشين مؤرخ بسنة ١٤٤هـ/ ٧٦١م.

٥) على بعد ٩كم شمال مكة المكرمة، على خط الطول ٠٧َ ٣٩ْ شرقاً ودائرة العرض ٣٩َ ٢١ْ شمالاً، موقع الزاهر بحي الزاهر، والموقع قلعة أو قصر شيد فوق ربوة صخرية ترتفع حوالي ١٥م تقريباً عن مستوى سطح الأرض المحيطة بها من الجهة الشرقية حيث الطريق المعبد، وأبعاده من الشرق إلى الغرب ٤٠م تقريباً، ومن الشمال إلى الجنوب حوالي ٣٢م، والقلعة مبنية من الحجر الجرانيتي والبازلتي، وسمك جدارها بمعدل ٦٠-٨٠سم، وهي مُلَيَّسة بالجص المحلي الصنع، ويتخلل جدرانها بعض الزخارف الجصية الإسلامية، وقد بنيت بعض السقوف على شكل قباب دائرية بالطوب المحروق، وتتكون القلعة من ثلاثة أجزاء، كل جزء منها يختلف عن الآخر.

الجزء الشرقي: يتكون هذا الجزء من غرفة مستطيلة الشكل أبعادها ٤م×٥,٤م وسمك جدارها ٨٥سم، ولها باب يقع

في وسط جدارها الشرقي عرضه ٩٠سم، وعلى جانبيه نافذتان، كل واحدة تقع في جانب، وعرض كل واحدة منهما ٩٠سم. والغرفة تحتوي على ثلاثة رفوف غائرة في جدرانها الشمالي والغربي والجنوبي، طول كل رف ٩٠سم وعمقه داخل الجدار حوالي ٢٥سم، وقد أضيف جدار يمتد من الشرق إلى الغرب بسمك ٤٥سم يقسم الغرفة إلى قسمين، الشمالي بعرض ١,٤٠م والجنوبي بعرض ٢,٧٠م وينتهي الجدار من الشرق بباب عرضه ٨٠سم. وشرق الغرفة هناك دكة (مصطبة) مكشوفة مستطيلة، أبعادها ٢٠,٥م×٩م محاطة بجدار سمكه ٦٠سم، ومدخلها من الزاوية الجنوبية الغربية حيث منحدر الوادي يحيط بها من الجهة الشمالية والشرقية والجنوبية، كما أن هناك دكة أخرى في الجهة الشمالية مستطيلة، أبعادها ٦,٨٠م×٢٠,١٠م، وهناك درج ملاصق لجدارها الغربي يصعد إلى الدور الثاني (الأوسط) عرض هذا الدرج متر واحد، وهناك في الركن الجنوبي الشرقي بين الدكتين مبنى صغير مستطيل، أبعاده ٨٠سم × ٢,٥م يفتح على الدكة الشمالية بباب عرضه متر واحد.

الجزء الأوسط: وهو يلي الدور الأول من جهة الغرب، ويتكون من غرفة مربعة الشكل في الوسط طول ضلعها من الداخل ٦م وسمك جدارها ٨٠سم، لها باب في وسط الجدار الشرقي، عرضه ١,٥٠م يفتح على دكة على شكل زاوية قائمة. تحتوي الغرفة على مبنى مربع ملاصق لجدارها الغربي من الداخل، طول ضلعه ثلاثة أمتار ويرتفع عن مستوى أرضية هذه الغرفة بمقدار ١,٥م، وتحتوي أيضاً على بابين متقابلين؛ أحدهما في الجدار الشمالي والآخر في الجدار الجنوبي، وإلى غربي كل باب نافذتان، ومعدل عرض كل من الأبواب والنوافذ متر واحد، كما تحتوي الغرفة على رفين غائرين في جدارها الغربي، أبعاد كل منهما ١,٣٠م وهي على هيئة خط مستقيم يمتد من الشرق إلى الغرب، ويقسم القاعة إلى قسمين، الشمالي عرضه ٥م، والجنوبي عرضه ٢,٨٠م، ويحتوي القسم الجنوبي على سلم ملاصق لجدار القاعة الجنوبي عرضه ١,٨٠م يصعد إلى الدور الثاني الغربي، كما يحتوي الجزء الشمالي من القاعة على سلم ملاصق لجدارها الشمالي في الزاوية الشمالية الغربية، عرضه ١,١م، وإلى

مخطط قصر الزاهر – مكة المكرمة

الشمال من هذه القاعة ممر مواز لجدارها الشمالي، عرضه ١,٣٠م وطوله ٨,٢٠م.

الجزء الغربي: غرب القسم الأوسط، وهو مبنى يتكون من عدد من الغرف والحمامات يتخللها عدد من القاعات والممرات، مثل قاعة التوزيع الشرقية، وهي مستطيلة، أبعادها ٢,٢٠م × ٦,١٠م، وهذه القاعة تحتوي على خمسة أبواب، أحدها يقع في وسط الجدار الشرقي ويصل القسم الثاني والأوسط بالقسم الثالث الغربي، أما بقية الأبواب فهي بابان متقابلان في كل من الجهة الجنوبية والجهة الشمالية، أما الاثنان الآخران فيقعان في الجهة الغربية، وهناك رف غائر في وسط الجدار الغربي مستطيل طوله ١,٥٠ وعمقه في الجدار ٢٥سم، كما أن هناك سلماً يصل القاعة عن طريق الباب الجنوبي، بالدكة الجنوبية الكبيرة، وعرض هذا السلم ١,٥م محاط بجانبيه بحوض للزهور، والباب الشمالي يفتح على قاعة صغيرة مكشوفة، أبعادها ٤,٥م × ٣,٩٠م وممر مكشوف أبعاده ٢,٥٠م × ٨,٢٠م يتجه إلى الغرب ثم ينحرف إلى الجنوب

بزاوية قائمة، وعرض هذا الممر ٢,٥م. أما البابان الواقعان في الجدار الغربي من القاعة فأحدهما وهو الجنوبي يفتح على قاعة مستطيلة، أبعادها ٣×٤,٥ تحتوي على نافذة في وسط جدارها الجنوبي، عرضها ١,٣٠م كما تحتوي على رف غائر في جدارها الشرقي شمال الباب، مستطيل أبعاده ٣٤سم ×١,٢٠م وهناك رف آخر غائر، في جدارها الغربي، مستطيل طوله ١,١٠م وعمقه في الجدار ٢٣سم، وإلى الشمال منه وفي الجدار الغربي أيضاً باب بعرض ١,١٠م يصل بين هذه القاعة والقاعة الغربية. وهذه القاعة الغربية مستطيلة أبعادها ٤,٢٠م×٥,١٠م تحتوي على باب في جدارها الجنوبي ينتهي بسلم عرضه ١,١٥م منكسر باتجاه الشرق ومتصل بالدكة الجنوبية الكبيرة. ويتصل السلم بدكة ثانية جنوبية غربية، وهذه الدكة الجنوبية الغربية مربعة طول ضلعها ٧,١٠م وفي جدار القاعة الغربي رفّ طوله ٧٩سم وعمقه داخل الجدار ٣٠سم، وإلى الشمال منه وفي الجدار نفسه باب عرضه ٧٥سم يفتح على غرفة مستطيلة أبعادها ٢,٧٥م × ٤,٦م، ربما كانت مطبخاً، وفي هذه الغرفة حوض مستطيل في زاويتها الشمالية الغربية، وهناك قناة تحت الحوض الغربي والأخرى في الجدار الجنوبي، وتتصل القاعة الغربية، عن طريق باب شمالي في جدارها الشمالي، بمبنى مستطيل، في زاويته الشمالية الشرقية حوض مستطيل به كسر في زاويته، وإلى الشمال منه، وفي وسط الجدار الشمالي، رف غائر بالجدار طوله ١,١٠م وعمقه داخل الجدار ٢٠سم. ويتصل هذا المبنى بالقاعة الشرقية عن طريق ممر مستطيل يحتوي على بابين في جداره الشمالي، الباب الغربي منهما يفتح على حمام مستطيل أبعاده ١,٦٠م ×٢,١٠م ويحتوي هذا الحمام على حوضين متجاورين على طول جداره الغربي، وعرض هذين الحوضين ٦٠سم. وهناك مبنى مفرغ تحت أرضية الحمام توضع فيه نار، له فتحة في الجدار الغربي، وهذا الفراغ يستعمل في تسخين أرضية الحمام، كما يتصل الحوضان بالحوض الموجود في المبنى المجاور للحمام عن طريق أنبوب فخاري فوق الأحواض. أما الباب الشمالي الشرقي فيفتح أيضاً على حمام مستطيل آخر شرق الحمام الأول.

مَلْهم والقِرِينة

تقع مَلْهم بمنطقة الرياض، في شمال غرب مدينة الرياض بحوالي ٨٠كم، على خط الطول ١٦َ ٤٦ْ شرقاً ودائرة العرض ٨ ٠َ ٢٥ْ شمالاً. وإلى الجنوب منها تقع القرينة على خط الطول ٩ ٠َ ٤٦ْ شرقاً ودائرة العرض ٨ ٠َ ٢٥ْ شمالاً -وهي قُرّان المشهورة في المصادر المبكرة- ويتميز موقعها بأنه منخفض، ويمر به وادي حريملاء، الذي يطلق عليه اسم وادي ملهم عند مروره بها. وتحف بها المرتفعات الجبلية من يمين وشمال.

ورد ذكرها في كتب الجغرافيين المبكرة بأنها حصن بأرض اليمامة لبني غُبَرْ من بني يشكر. وقيل إن ملهم وقران قريتان من قرى اليمامة، وهما لبني نمير. وملهم مشهورة بكثرة نخلها، ويتردد ذكرها عند الشعراء المتقدمين، ومن ذلك قول جرير:

كأن حمول الحيّ زلن بيانع
من الوارد البطحاء من نخل ملهما

ويوم ملهم من أيام العرب، وهو أول يوم ظهر فيه عتيبة بن الحارث بن شهاب، حين حدثت معركة بين بني يربوع وبين بني يشكر، سكان ملهم.

ويبدو أن ملهم كانت بلدة كبيرة واسعة تعتمد على زراعة النخيل، وحتى عهد قريب كانت تمور ملهم تصدر إلى مختلف الأنحاء.

ولا يستبعد أن وفرة المياه في القديم، ووجود مراكز لتجمع السكان والزراعة في ملهم وقُرّان وحريملاء، جعلها من الأماكن المهمة في منطقة العارض في العصور القديمة. فقد عثر في الجهة الجنوبية الشرقية من ملهم، بالقرب من سد ملهم الحديث، على مجموعة من النقوش والمخربشات العربية القديمة بخط المسند، وهي محفورة على كتل صخرية تحت سفح الجبل من الجهة الشرقية، وقد اعتراها بعض الخراب. كما يوجد على واجهة صخرية في أعلى الجبل بمواجهة الغرب عدد قليل من النقوش والمخربشات القديمة أيضاً. ويحتمل أن يكون عدد هذه النقوش والمخربشات في المنطقة ثلاثة عشر نقشاً، بالإضافة إلى نقشٍ واحدٍ بخط المسند الجنوبي. ويرى بعض الباحثين أن هذه المخربشات يمكن إرجاع تاريخها إلى الألف الأول قبل الميلاد.

كذلك توجد في الجهة الشرقية الشمالية من ملهم عند سفح المرتفع الجبلي ما يشبه مستوطنة قديمة أو مدافن تعود للعصور السابقة للإسلام، وهذه

نقوش ثمودية على واجهة صخرية من موقع ملهم

الآثار لم تدرس بعد دراسة وافية. أما نقوش القرينة فتقع في شعيب حميصة، أحد فروع وادي المليح، الواقع في الشمال الشرقي من بلدة القرينة، وقد نشرها حمد الجاسر في مجلة العرب في عام ١٣٩٥هـ.

أما بلدة ملهم في العصور الإسلامية المتأخرة فتذكر المصادر أنها سُكنت قبل سنة ٨٥٠هـ من قِبَل حسن بن طوق جد آل معمر، ثم انتقل منها واستوطن العيينة. وورد ذكر ملهم في أحداث كثيرة بعد ذلك.

كما سكنها عدد من الأسر، وتعددت أحياؤها ومنها: الجزيرة، الحصحص، أثيلان، النسق، أم تينة، حصيَّان، مدربية، المثناة، الجميلي، الحي الأسفل، وبطاح.

وقد تأثرت ملهم في سنوات مضت بعامل الطقس، فأصابها بَرَدٌ شديد قبل أكثر من أربعين سنة، ألحق بمبانيها ومزارعها الضرر. وتتشابه العمارة التقليدية في ملهم مع مثيلاتها من مدن العارض، إذ استخدمت الأحجار في الأساسات وبنيت الجدران والأسوار باللَّبِن والأسقف من جذوع الأشجار، واستخدم الجص في زخرفة المساكن من الداخل. وعلى الرغم من أن الأحياء القديمة بدأ أهلها يهجرونها إلى مساكن

أطلال أحد القصور بالمندسة

جديدة إلا أن أجزاء من معالمها القديمة ما تزال قائمة تحكي قصة ماضي هذه البلدة. ونرى ذلك الماضي متمثلاً في ما بقي من أجزاء بعض المنازل والمساجد والأسوار والأبراج.

المِنْدَسّة

تقع المندسة في منطقة المدينة المنورة على بعد ٦٠كم إلى الشمال من المدينة المنورة، على خط الطول ١٦َ ٣٩ْ شرقاً ودائرة العرض ٣٢َ ٢٦ْ شمالاً. وهي وادٍ صغير يصب في وادي الحمض، عرف في المصادر باسم ذو خُشُب، وكان يوجد بالموقع أملاك وقصور لأعيان المدينة في العصر الأموي، مثل قصر مروان بن الحكم. وفي الوقت الحاضر توجد بالمندسة أطلال لخمسة قصور يرجع تاريخها إلى العصرين الأموي والعباسي، أربعة منها في المندسة وواحد في المليليح، وهي قرية مجاورة لوادي المندسة.

وقصور المندسة بعضها مبني بالحجر، وبعضها الآخر بالآجر، وتحتوي من الداخل على فناء في وسطها تحيط به حجرات، وقاعة استقبال رئيسية. وقد استخدمت الأعمدة المبنية بالآجر، والأقواس نصف الدائرية، والمثلثات الركنية في بناء بعض هذه القصور. كما استخدمت فيها القبة لتسقيف قاعات الاستقبال، والجص لتلييس الجدران من الداخل والخارج. كما يلاحظ استخدام الآجر في زخرفة الواجهات الخارجية للحصول على أشكال هندسية متنوعة.

المندفن

يطلق اسم المندفن على منطقة رملية تقع في الجزء الغربي لصحراء الربع الخالي بمنطقة نجران على خط الطول ٣٠َ ٤٥ْ

شرقاً ودائـرة العرض ٢٩َ ١٨ْ شمـالاً، ويسمى المندفن لتلاشي جبل طويق في منطقته.

زار المنطـقة عدد من الرحـالة من أهمهم تيودور ثيسجر Thesiger، وجون فيلبي Philby. كما زار فريق من إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف المنطقة خلال تنفيذه موسم مسح لمنطقة جنوب الرياض سنة ١٩٧٨م. ثم تنـاول المادة الأثرية المتوافرة عن طريق جهود الرحالة وعمل إدارة الآثار والمتاحف كرستوفر إيدنز C. Edens بالدراسة سنة ١٣٩٨هـ ونشرها سنة ١٣٩٩هـ.

ولم تمسح المنطقة من الناحية الآثارية، إلا أن إشارات وردت في أبحاث الرحالة أفادت عن وجود عدد من مواقع العصور الحجرية، التي مـن أهمها مواقع العصر الحجري الحديث، نظراً لأهميتها في دراسة الاستيطان، إذ عثر فيها على أوانٍ مصنوعة من الحجر الصابوني ورحيّ حجرية، وهو دليل على أن من سكن المنطقة كان يزاول الزراعة ويقيم إقامة دائمة.

مويسن

تقع قلعة مويسن في منطقة الجوف على خط الطول ٥٩َ ٣٩ْ شرقاً ودائرة العرض ٥١َ ٢٩ْ شمالاً، عـلى مسافة ١٢كم إلى الشمال الـشرقي من دومة الجندل، و٣٠كم إلى الجنوب الـغربي من مدينة سكاكا. ويوجد مبنى القلعة

قلعة مويسن

في منطقة منعزلة على مسار الطريق القديم الذي يربط سكاكا بدومة الجندل، ولم يرد ذكر لهذه القلعة في أي من المصادر العربية المبكرة التي تحدثت عن منطقة الجوف. ويعتقد أن أقدم إشارة لهذا المبنى وردت في كتابات الرحالة الغربيين الذين زاروا المنطقة خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، وقد أشار كابتن بتلر Butler إلى أن هناك قلعة قديمة غير مستخدمة تقع في مكان يسمى مويسل (يعني مويسن) على مسافة ساعتين من دومة الجندل، كما أشار موزل Musil كذلك إلى أن قلعة مويسن حصن مهمل بني فوق مرتفع صخري. وخلال سنة ١٤٠٦هـ درس خليل المعيقل القلعة، فحفر مجساً اختبارياً داخل ساحة القلعة في محاولة لتحديد تاريخ المبنى وفترات استخدامه. وأكدت نتائج أعمال الحفر أن المبنى يعود لفترة ما قبل الإسلام (القرن الثالث- السادس الميلادي).

بنيت قلعة مويسن فوق مرتفع صغير يرتفع حوالي ثمانية أمتار عمّا حوله. وهو مبنى مستطيل الشكل طوله ٢٧م وعرضه ١٠م. وله مدخل واحد يقع في منتصف الواجهة الجنوبية، ويتقدم هذا المدخل جدار ساتر لا يرتبط بالأسوار. وليس للمبنى أبراج ركنية أو أي عناصر دفاعية، مما يؤكد أنه شيد لاستخدامات سكنية وليس لأغراض دفاعية. ويصل عرض المدخل حوالي ١,٣م، وارتفاعه ٢,٢م، وهو يؤدي إلى دهليز عرضه ١,٣م وطوله ٣,٨م ينتهي في وسط المبنى. ويتكون التخطيط الداخلي للقلعة من قسمين منفصلين: القسم الغربي، الواقع على يسار الداخل، وهو من ثلاث غرف، غرفتان تقعان على طول الواجهة الغربية، وغرفة ثالثة تقع في الجزء الجنوبي من هذا القسم. يضاف إلى ذلك ساحة تشكل غالبية مساحته. أما الغرفتان الغربيتان فمكتملتان وسقفهما موجود، أما الغرفة الثالثة فمتهدمة. ويظهر من خلال الجدران المتهدمة بقايا عقد نصف دائري صغير، ربما يشكل فتحة فرن كما أشار إلى ذلك أحد السكان المحليين الذين أقاموا بهذا المبنى قبل ثلاثين عاماً. وأبواب الغرف الثلاث تفتح على ساحة كشفت أعمال الحفر في زاويتها الشمالية الشرقية عن بئر دائرية. ويشير وجود البئر وما يُرجح أنه مطبخ إلى أن هذا القسم ربما كان مخصصاً للنساء. أما القسم الشرقي من المبنى فهو أقل مساحة من

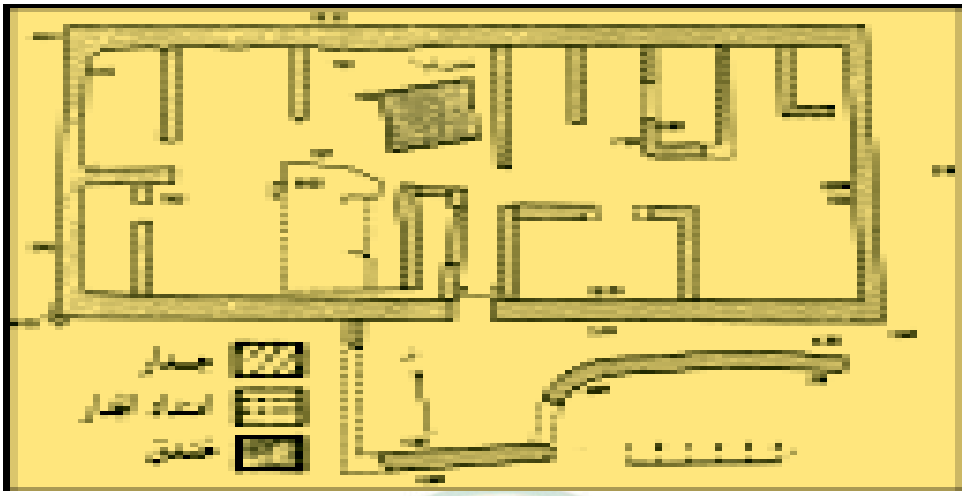

مسقط لقلعة مويسن

القسم الغربي إذ تبلغ مساحته ١٢م × ١٠م. ويقع هذا القسم على يمين الداخل ويتكون تخطيطه من ساحة تشكل ثلث المساحة وثلاث غرف تفتح على هذه الساحة. وأكبر الغرف في القلعة تلك التي يعتقد أنها غرفة الاستقبال الرئيسية، إذ تبلغ أبعادها ٩,٦م × ٦,٢م وتقع في الجزء الجنوبي من هذا القسم، أما الغرفة الثانية فتوجد مقابلة للغرفة السابقة، وأبعادها تبلغ ٣,٢م × ١,٢م. والغرفة الثالثة صغيرة الحجم ٢م × ١,٨م تقع في الركن الشمالي الشرقي للمبنى. ولمّا كان هذا القسم يضم أكبر غرفة في المبنى فيرجح أنه يمثل منطقة الاستقبال الرسمي في المبنى.

وإلى الشرق من المبنى، وعلى مسافة خمسة أمتار تقريباً توجد بقايا لبئر قديمة ترتبط بها بعض الأساسات الحجرية، ويظن أنها تمثل بقايا نظام ري قديم.

أما مواد البناء المستخدمة فتتمثل بالحجر الرملي والجيري، إضافة إلى الطوب (اللَّبِن) والمونة الطينية. وقد شيدت الأجزاء السفلية من الجدران الخارجية بارتفاع مترين باستخدام الأحجار المتناسقة، والأجزاء العلوية شيدت من الطوب (اللَّبِن).

وقد أثار وقوع هذا المبنى في هذه المنطقة المنعزلة كثيراً من الأسئلة حول طبيعته ووظيفته، إذ ربما كان استراحة للصيد، يملكها أحد وجهاء المنطقة.

وربما كان يخدم الغرض نفسه الذي كانت تؤديه القصور الصحراوية في بلاد الشام، مثل قصر المشتى وقصر الحرانة.

وقد تأكد أن المبنى يعود لفترة ما قبل الإسلام من خلال نتائج الحفر داخله إذ كُشف عن كسر فخارية إضافة إلى الفخار الملتقط من المنطقة المحيطة بالقلعة، مما يوضح أن فترة استخدامه تقع ما بين القرنين الثالث والسادس الميلاديين.

المويلح

تقع المويلح على بعد ٤٠كم إلى الشمال من مدينة ضبا بمنطقة تبوك، شمال غرب المملكة، على خط الطول ٢٨َ ٣٥ْ شرقاً ودائرة العرض ٤١َ ٢٧ْ شمالاً، وهي واحة قديمة عرفت في القرون الهجرية الأولى باسم النبك. وعُدت عند عدد من الجغرافيين المسلمين في القرنين الثالث والرابع الهجريين إحدى منازل طريق الحج المصري الساحلي، وعدها الجغرافي المسلم العذري الأندلسي من مراسي الطريق الملاحي بين جدة والقلزم (البحر الأحمر)، وكان قد زار الحجاز في مطلع القرن الخامس الهجري. وابتداءً من العصر المملوكي اشتهر هذا الموقع باسم المويلح تصغير مالح وصفاً لمائه. وقد

منظر عام لقلعة المويلح

قلعة المويلح

استحدثت به خلال ذلك العصر بئران لتوفير الماء لقوافل الحجاج المارة به، أمر بحفرهما الأمير الحاج آل ملك الجوكندار في عصر السلطان المملوكي محمد بن قلاوون، ثم أصلحهما السلطان قانصوة الغوري، ويقعان اليوم في الجزء الشمالي من الواحة. وخلال العصر العثماني زادت أهمية المويلح إذ بنيت فيها قلعة كبيرة في عصر السلطان سليمان القانوني، وحفرت فيها أربع آبار جديدة: واحدة في فناء القلعة، وثلاث في بطن الوادي. وما تزال هذه الآبار باقية بالموقع، ويوجد بأحدها حجر تأسيسي يشير إلى بنائها على نفقة أمير الحج المصري عثمان بن أزدمر باشا سنة ٩٦٧هـ.

أما قلعة المويلح فتعد أكبر قلعة قائمة على مسار طريق الحج المصري، وقد بنيت سنة ٩٦٨هـ/ ١٥٦٠م، كما يشير إلى ذلك الحجر التأسيسي المثبت على مدخلها. ولهذه القلعة مسقط غير منتظم الشكل، إذ يبلغ طول ضلعها الشمالي ١٠٩م، والجنوبي ٨١,٧٠م، والشرقي ١٠٧,٦٠م وهو مكون من جزءين، والغربي ١٠٧,٩٠م. ويقع مدخلها في منتصف ضلعها الشمالي، ويؤدي عبر

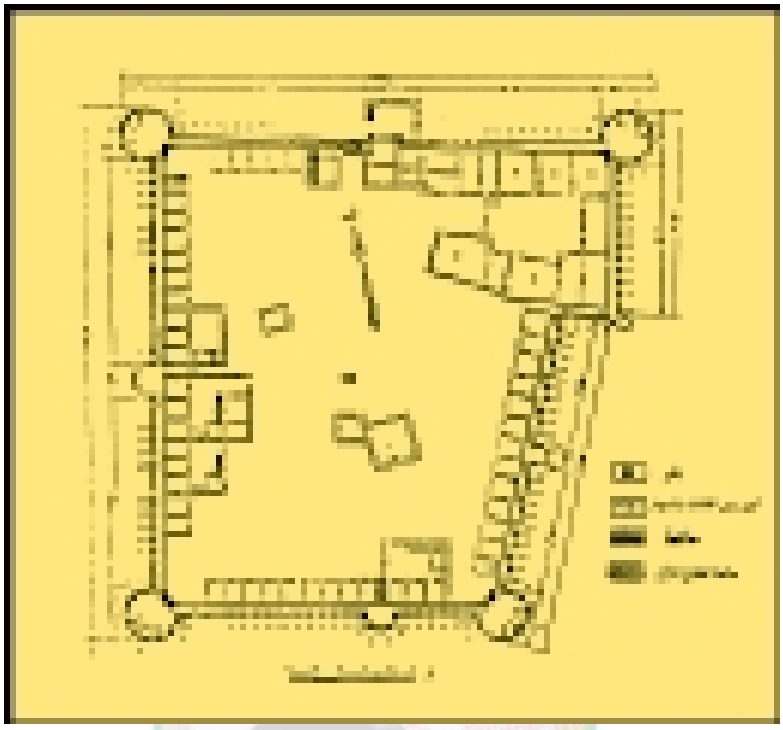

مسقط لقلعة المويلح

ممر منكسر إلى فناء كبير يتوسطه مسجد بجانبه بئر. وتحيط بالفناء من جميع الجهات حجرات تكون وحدات معمارية كثيرة، استخدم بعضها مخازن لأقوات الحجاج وودائعهم وبعضها الآخر سكناً للجنود والموظفين ولقائد القلعة ووكيلها. وكانت وكالة هذه القلعة للأشراف المويلحيين في نهاية العصر العثماني.